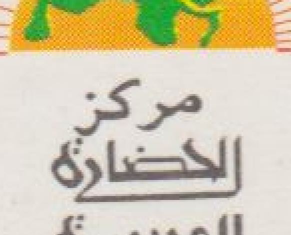
أحمد عمر شاهين

حمدان طليقاً



رواية



مركز الحضارة العربية

حمدان طليقاً

رواية

أحمد عمر شاهين

لوحة الغلاف للفنان : محمد الطلاوى

الطبعة العربية الأولى : يناير ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٢٥٢١ / ٩٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-099-7



السلسلة الأدبية

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

أحمد عمر شاهين

حمدان طليقاً

رواية



(١)

غلبه النوم وهو يقرأ . وجد نفسه ينهض ، يطفئ كل الأنوار . يلف نفسه بعباءة بنية ويتسلل خارجا .

ينعشه هواء الليل البارد ، يأخذ نفسا عميقا ، يمسح وجهه بيده يبتعد عن الطريق المسفلت ، ويسير على درب رملى .

يحث الخطى غير مبال بالتعب يحيق به ، أو بالرمل يتسرب إلى حذائه فيعوقه ، وتمتد حوله الصحراء بلا نهاية ، يلفه غموضها ، ويبعث فى صدره نشوة يكاد يلمسها ، وسعادة تزداد كلما اندفع إلى الأمام .

استدار الدرب فاستدار ، وهنت خطاه فاستحثته إراداته فعاد يهم فى سيره ، عليه أن يعود قبل طلوع الشمس أو مع شروقها ، اذا كان للأمور أن تسوء .

دنت المسافات . فتمهل قليلا يلتقط أنفاسه اللاهثة ، وواصل مشيه بخطى متأنية ، يصعد منحدرا يوصله إلى كهف فى حضن جبل . حيث يقيم الشيخ .

انتظر أكثر من شهر حتى وافق أن يقابله ، لا بد من اختبار قبل أن يكشفوا له الحجاب ويلقى الشيخ وجها لوجه .

دفع باب خشبيا ، فسرى فى الفضاء صرير ، هبطت على قلبه سكينة اشتاق لها ، واصاعدت الطمأنينة إلى أعماق نفسه ، وهو يسمع الشيخ يسبح الله . تريث حتى اعتادت عيناه ظلمة المكان ، وخطا حثيثا ليقف بجانب الشيخ الجالس على الأرض .

خفتت نغمة التسبيح ثم انقطعت . امتدت يد تلمس ساقه ، وعلا صوت يهمس له : اجلس يا بنى .

امتدت اليد مرة أخرى لتجوس خلال شعره ، وتردد صوت يتلو آيات من القرآن الكريم . أنتابت الفتى رعشة من رضى وطمأنينة وبدا له أنه يسبح فى عالم آخر غير دنيوى . انتهى الشيخ من تلاوته ، وأمسك بيده ضاغطا عليها متمتماً :

– خير يا بنى ..

قال : أنا الذى أوصانى الشيخ عبد الستار بالاتصال بك .. كنت معه فى السجن .

رفعت اليد المسبحة المتألقة فى العتمة ، أخذت تدفع حباتها واحدة إثر أخرى ، ليرن صوتها فى جوف الكهف . يبدد سكونه ويكسر حدة الصمت . اشتعل فى قلب الفتى القلق ، فلن يجرؤ ثانية على النطق حتى يسمع الجواب ، هكذا أوصوه أو ربما خيل اليه .

توقف صوت الحبات المتدافعة ، وعلت فى الجو تنهيده ، وخرجت الكلمات حادة قاطعة : ماذا أخبرك عنى ؟

قال الفتى باندفاع : كل خير . أكثر من عشر سنوات وأنا أرافقه ، تعلمت منه الكثير وقرأت الكثير .

عادت اليد تسبح ، وطال الصمت قبل أن يقول الشيخ :

– لماذا تستبدل السجن بمستشفى المجانين ؟

كان يتوقع السؤال ، قال : خفت من وقع الأخير على مسامعك ..

امتدت يد الشيخ لتربت على ظهر الفتى مطمئنه .

انطلق الفتى بالكلام : كانت له غرفته الخاصة فيها كل ما يحتاجه من طعام وشراب وكتب . كان يغادر فى بعض الأحيان ، أدرك ذلك حين لا أراه .. رفع الشيخ يده ، يمنعه من الاستطراد ، قائلا :

- لا تجعل وساوس الشيطان تدخل قلبك .

صمت قليلا ، ثم سأل : ألم يخبرك بشئ عنى ؟

استطاع أن يلمح شبح ابتسامة على وجه الشيخ ، ثم خرج من فيه صوت كالفحيح يقول :

- وهل نستمع إلى أقوال المجانين ؟

صعقته الكلمة . فانتفض واقفا . ينظر إلى الشيخ بغيظ ، وارتج عليه فلم ينبس بشئ ، لكن الرعب ركبه وهو يرى الرجل الجالس أمامه يكبر ويكبر ، حتى كاد وهو الجالس أن يتخطى رأسه ، هم بالهرب ، لكن قدميه تستمرتا فى الأرض ، كانت يدا الشيخ تطبقان على عنقه وتضغطانه حاول الصراخ ، والتملص ، وسمع خبطة ، واستيقظ . كان الكتاب قد وقع على الأرض فأيقظه .

تنهد بارتياح، ياله من حلم ! ما يفكر به فى النهار يحلم به فى الليل.

***

(٢)

شـهـران مـضـيـا ، وهو يقيم فى هذه الأسـتـراحـة على الطريق الزراعى، أسكنوه بيتا يتكون من غرفتين فى أقصى الساحة الخلفية جـهة الغـرب مـعـزولا بالاشـجـار الكثيـفة التى تحيطه من كل ناحيـة ، استراح له ، فقد أعاد اليه ذكرى أيام ماضية عاشها فى مخيم للاجئين فى بيت تحيطه أشجار الكينيا والأكاسيا كما هى الحال الآن ، يقضى وقتـه فى القراءة والاعتناء بحديقة البيت ، منتظراً اللحظة التى يقابل فيها شيخ الجماعة ، سأل العاملين اللذين يتصلان به ، مرتين أو ثلاث ، عن مـوعد اللقـاء ، وعـدوه خيـرا ، فلم يكرر السـؤال ، كـانا ينامـان فى الدور الثـانى من مـبنى الاسـتـراحـة الرئيـسى ، أمـا الآخـرون فكانوا يعودون إلى منازلهم بعد انتهاء نوبة عملهم ، ولايعرف لماذا عزلوه ، لكنه يلتمس لهم العذر ، فلا بد من فترة اختبار ، على ألا تطول ،فلقد جاء لمهمة مـحـددة ، وإن كانوا لا يعلمون بهاوبدأ صبـره ينفد وتسـتـولى الأحـلام المزعجـة على سـاعات نومـه، مرة يحلم بالشيخ وقد نفذ إ لى أعماق نفسه ، وعرف مـا يفكر فيه ، ومرة بـالسفر ، بل مرات ومـرات ، سـفـر فى قطار لم كن يسـيـر بالكهرباء قط ، فـحم وخـشب ، يفـح النار وبخـار الماء . لونه أسـود ، القاطرة والعربات ، ركابه لا يعرفهم وطريقه لا يعرفه ، يصعد من محطة مجهولة إلى أخرى مجهولة ، يخترق سهولا ووديانا ، جـبـالا وهـضـابا ، يتلوى ويسـتـقـيم ، وكل مـرة يحلم بركـوبه ، تحط مصيبة على رأسه ، مطاردا مرة ، وهـاربا أخـرى ، تضيع حقيبته

فى إحدى الرحلات ، أو يهوى تحت العجلات فى رحلة أخرى ، ويصل دوما - هذا اذا وصل - إلى مكان لا يريده ولا يعرفه ، يتكرر الحلم بأشكال وقوالب مختلفة ، لكن يظل هناك قطار ، ورحلة مجهولة . رفع الكتاب عن الأرض ، وحاول أن يعاود القراءة ، لكن المعانى كانت تهرب منه ، ولا يستطيع الامساك بها ، رمى الكتاب بعيدا ، وخرج إلى باحة المنزل ، يستقبل ريح الصحراء ، ويتنهد .

حاول أن يلفت نظرهم بأنه يستطيع أن يخدم فى الاستراحة كواحد منهم ، ويمكنه أن يأخذ وردية الليل بدلا من أحدهم ، لكنهم رفضوا .

بدأ يمل ، والوقت يجرى ، وليس من أجل هذا الذى هوفيه اتصل بهم .

***

(٣)

مضى على خروجه من المستشفى أكثر قليلا من سنة ، توسط له نور الدين الأيوبى (أبو سامح) ، كان فى زيارة لمصر ، وسأل عنه بمحض المصادفة ، لا يدرى من الذى أخبره إنه فى مستشفى المجانين ، كان الرجل نفسه يجن ، بذل جهده كله مع المسؤولين حتى استصدر قرار بالإفراج عنه وكان فى انتظاره بنفسه عند خروجه ، وقاده إلى فندق دفع له أجرة إقامة لأسبوع كامل ، وجلس معه ساعات يسترجعان ذكرى أيام ماضية ، حين فاتحه " أبو سامح " للانضمام لتنظيم نسى اسمه الآن ، أحد التنظيمات الفلسطينية الكثيرة التى ظهرت فى بداية الستينات ، ثم عفا عليها الزمن ، كان " أبو سامح " منذ البداية يحبه ويحترمه .

كان تلميذا فى السنة الأخيرة من " مدرسة الصنايع " ، حين جاء " أبو سامح " ناظراً للمدرسة ، لا يدرى ماذا رأى فيه ، حتى يفاتحه بشأن التنظيم الذى لم يعمر طويلا ، لكنه لم يخيب أمله ، ونفذ كل ما طلب منه بل أكثر وبذل كل جهده لارضاء الناظر الذى أحبه ورعاه ، ربما كان " أبو سامح " الشخصية الوحيدة التى أثرت فيه ، وأحبه كما أحب أمه وابن خاله " وليد " .

بعد يومين من خروجه من المستشفى ، غادر " أبو سامح " القاهرة إلى عمله ، ممثلا للمنظمة فى أحد البلاد الأوربية ، وقبل مغادرته رتب

له أمور مرتبه ، ودس فى يده ثلاثمئة دولار ، كانت سفينة انقاذ له ، فقد فوجئ حين ذهب إلى البنك ليسحب بعضا من نقوده التى أودعها هناك، قبل الزج به فى المستشفى بأن هناك من سحبها كلها بشيك مزور التوقيع ، بعد شهر من إلقاء القبض عليه . حين أدرك أن نقوده التى كان يعول عليهاقد ضاعت . اختلطت الأمور فى ذهنه ولم يستطع أن يفكر بهدوء ، وضحك من كل قلبه كما لم يضحك من قبل ، ووجد رضا فى نفسه ليس من طبيعته ، وتساءل هل يكون قد تغير كأشياء أخرى كثيرة حوله ؟ فبعد دستة من السنوات ، يبدو أن كل شيئ لم يعد كما كان ، اختفى فندق الشواهدى وأصبح عمارة سكنية ، معظم زملائه العاملين فى مكاتب المنظمة غادروا القاهرة ، وكل من يعرفهم لم يستدل على أحد منهم ، لم يستطع العثور على شخص يعرف أخبار وليد ، أو ماذا جرى له ، أما نهلة زوجة وليد ، فقد عرف أنها عادت إلى الأرض المحتلةولم تخرج ثانية ، وعرف أنها أنجبت ولدا ربما فى الثانية عشر من عمره الآن ، أما محمد ، فلم يحاول السؤال عنه ،برغم شدة حاجته اليه ، لكن محمدا لا يطيقه ، وهناك ود مفقود بينهما ، يتمنى لو كانت العلاقة بينهما على غير ما هى بالفعل عليه . وحده فى القاهرة وبرغم كل زحامها المجنون ، يخيل اليه أنه لا يعرف أحدا ، لم يخسر كثيرا ، فلم يكن أحد صديقه بالمعنى الفعلى للكلمة ، ربما باستثناء وليد ، وقرر أن ينزل فندقا رخيصا فى العتبة يستقر فيه فترة ، حتى يعرف مقدار المرتب الذى سيصرف له ويفكر بهدوء ، ويتحسس مستقبل أيامه .

بعد انتهاء شهر من إقامته فى الفندق ، لم يعد يطيق نفسه ، عزلته

شديدة قاتلة ، لم يكلفه أحد بشئ وذلك يغيظه ، وبدأت نقمته على نفسه، التي ترقد في مواجهته كل يوم بل كل ساعة ، وعلى الآخرين تزداد ، لم يتخذ خطوة واحدة في سبيل معرفة من الذى سرق نقوده ،أو لماذا أودع مستشفى المجانين . كان الشيخ عبد الستار هو البلسم الشافى له من جنون كاد يحيق به ، رجل سطوته كبيرة ، وطلباته أوامر ، لم يكن ينقصه طعام أو شراب أو كتب ، شخص يحار المرء فى تصنيفه ، أحيانا يعطيك الانطباع بأنه من الجماعات الإسلامية ، وأحيانا بأنه شخص ليبرالى متحرر ، يشرب الخمر ويتسامح مع الجميع .وقد أدرك الشيخ منذ البداية أنه ليس مجنونا ، استمع إلى حكايته ، ثم بسط حمايته عليه ، فلم يعد ينقصه شئ ، كان الشيخ ينفق ببذخ ، مما جعل كل المرضين خدما له ، والأطباء من أصدقائه ولولا تقواه لقال إنه زعيم عصابة يتخذ من المستشفى مأوى وسترا له . اطمأن له الشيخ بعد عدة جلسات بينهما ، بل وأحس أنه أعجب بأفكاره . أعطاه المجلد الأول من ستة مجلدات فى تفسير القرآن لسيد قطب ، وطلب منه قراءته ، قرأ المجلدات الستة ، وعدة من كتب أخر لفهمى هويدى ومحمد عمارة ، وغيرهما ، قبل أن يقول له الشيخ ذات يوم :

– يا حمدان .. أرى أنك لا تصلى يا بنى ..

قال حمدان وابتسامة على شفتيه : ليس على المجنون حرج ...

– لكنك تعرف وأنا أعرف والله يعرف أنك لست مجنونا ..

– وهل تجوز الصلاة فى مستشفى المجانين ؟

- الصلاة تجوز فى كل مكان من أرض الله .

كان يعرف ذلك ، لكنه يشاكس الشيخ .

قال الشيخ : قرأت القرآن وتفسيره .. ولم تقل لى انطباعك ..

- وهل يهمك أن تعرف ؟

- بالطبع .. فهناك يا بنى من ختم الله على قلوبهم .. فمهما قرأوا فيه لا تنفتح قلوبهم له .. ولا يبوح لهم بأسراره . فيظلون فى طغيانهم يخوضون .. كان يريد أن يتمادى فى مشاكسة الشيخ ، لولا ملامح الجد والغضب والحزن التى بدت على وجهه ، فقال :

- ليس هناك أحب الى من قراءة القرآن .

تنهد الشيخ بارتياح وقال : الحمد لله .. أرحت قلبى .. وما رأيك فيمن أرسلك إلى هنا ؟

هرش حمدان رأسه ، وقال : أعتقد أنهم هم المجانين . وليس نحن.. هز الشيخ رأسه : إنهم ليسوا مجانين .. فهم يعرفون ما يفعلون.

- سينالون جزاءهم .. فالله يمهل ولا يهمل .

- أهذا ما هداك الله إلى قوله !

صرخ حمدان : يا شيخ عبد الستار .. ماذا تأمل من انسان يعيش فى مستشفى للمجانين .. إن عقلى وقلبى مقيدان ..

- لن تمكث العمر هنا ..

– لو خيرت لفضلت البقاء ، وترنم : لا تغرنك اللحى ولا الصور : فتسعة أعشار من ترى بقر

– مخطئ لو فكرت بهذه الطريقة .

– لكنك أنت تفضل البقاء هنا ..

– لى ظروفى الخاصة .. ثم أنى رجل عجوز .. وأنت شاب ..

– ماذا بوسعى أن أفعل .. يبدو أن الناس كلها قد جنت .

– نور الحق قادم ..

– يدى فى يدك .. ماذا يريد الأعمى !

وحين علم الشيخ بأنه سيخرج من المستشفى ، أعطاه رقما ، وطلب منه أن يتصل به ، ويخبرهم بأمره وسيتكفلون هم بالباقى . حاول أن يعرف منه من " هم " هؤلاء ، لكنه لم يخرج نتيجة .

بعد أشهر ثلاثة من حيرته ، ودورانه فى الشوارع وجلوسه على المقاهى وقراءته للجرائد والمجلات ، ومشاهدته التليفزيون ، وتأديته الصلاة ، وعدم تعرفه أو مصادقته أحدا ، فكر فى الاتصال بهم . لم يرد الاتصال من الفندق ، فذلك سيضطره للحديث أمام موظف الأستقبال ، الذى ينصت بل يتعمد التنصت على كل مكالمة تجرى من عنده ، وليس هناك تليفون فى غرفته . محلات كثيرة فيها هواتف يمكنه الاتصال منها ، لكنه يتردد ،كلما هم بالدخول أو الميل إلى محل ، صدته قوة داخلية ، حتى اندفع إلى تليفون فى محل يبيع القمصان والملابس الداخلية ، ربما وجه الفتاة هناك هو الذى اقتاده ، أشار إلى التليفون ، وقال : أتسمحين ؟

تطلعت اليه الفتاة بدهشة ، وهتفت : حمدان : !

وقف مرتبكا لحظات ، وعقله يعمل بسرعة ليسترجع هذا الوجه الذى يعرفه ، وطفا اسمها على سطح الذاكرة ، وأدرك سبب النداء الذى دفعه إلى المحل ، انها هى ، تلك التى عرفها قبل اعتقاله ، لم يحبها ، لكنه استراح إلى وجهها وابتسامتها ، كانت تعمل فى محل تجارى يقع فى مواجهة فندق الشواهدى ، كان يدخل الدكان ليشترى بعض مالا يحتاجه من أجل أن يتحدث اليها ، وينظر إلى وجهها عن قرب ، تجرأ ودعاها على الغداء ، رحبت ، أخذها إلى مطعم " المنظر الجميل " القريب ، وصعدا إلى الدور الثانى حيث الزبائن قلة ، واستمتع بالنظر اليها وهى تأكل ، وحين قالت "إن عليها أن تذهب ففسحة الغداء انتهت". كرر دعوتها على الغداء ، فوافقت ، وعرف أنها تحبه ، لم تقل له ذلك لكنه أحسه من سلوكها وايماءاتها ، ارتاح اليها ، زارته مرة فى الفندق فى غرفته ،أخبرها برقم الغرفة ، وطلب منها أن تدخل الفندق بجرأة وتستخدم المصعد ، أو ترتقى السلم إلى الدور السابع دون أن تلتفت إلى أحد وكأنها تعرف طريقها . مكثت معه ساعة ، أو أكثر قليلا وقالت له بصراحة مدهشة أذهلته " إنها المرة الأولى التى تسلم نفسها لرجل " ، وكان قد أدرك ذلك من الدلائل التى رآها ، وأصابه الضيق وتساءل فى نفسه لماذا فعلت ذلك ؟ فقد حملته عبئا لم يكن يريد حمله، وحيره الأمر ، وحين أخبرته أنها حامل ، وعدها بالزواج ، وكان يعتزم ذلك بالفعل ، لكنه اعتقل بعد ذلك بيومين ، وتأبى المصادفة ، إلا أن تدفع بهما كل فى طريق الآخر ثانية ، وعجب لذاكرته التى أسقطتها

بعيدا فى أعماق سحيقة لسنوات طويلة ، ردد بينه وبين نفسه : كنت أؤمن دائما بأن هناك قانونا للمصادفة . ولا تسير الأمور فى فوضى . قد يخيل لنا ذلك ، لكنى هناك من يحكم كل شئ .

قال بعد برهة وهو يمد يده : سعاد .

وأضاف : أردت استخدام التليفون .. لكن لا داعى الآن .. كيف حالك ؟

قالت بلهجة مستسلمة : كما ترى .. الحمد لله على السلامة .

دار بعينيه في المحل ، مفكرا ماذا يقول لها ؟ أيسألها هل تزوجت؟

هل أنجبت . ولدا أو بنتا أو هل أسقطت حملها ؟ أحيانا لا نجد ما نقوله مع من نعرفهم .

قال : أريد بعض الملابس الداخلية .

قالت وهى تستدير لإحضار علبة كرتونية تفتحها وتلقيها أمامه ، - أهذا ما قدرك الله على قوله !

قال بسرعة وارتباك : سعاد .. كنت فى السجن .

قالت بهدوء : أعرف . متى خرجت ؟

كذب وقال : منذ أسبوع ، متى تنتهين من عملك هنا ؟

ربما أنقذه السجن من التورط معها بالزواج ، كانت بالنسبة اليه مغامرة عابرة ، اضطرته أخلاقه لظروف حملها أن يعدها بالارتباط ، لكنه يشعر الآن كأن العناية الألهية وضعتها فى طريقه ، فهو فى أشد

الحاجة إلى من يقف إلى جانبه ، خاصة ، وهو يلمح الحب ما زال يكمن في عينيها .

قال بسرعة : سأكون فى إنتظارك .. كم ثمن هذه الملابس ؟

قالت : أين سرحت ؟ أنهى عملى فى السابعة .

حمل ما اشتراه ، ووقف يتفرج على واجهة محل الأدوات الرياضية المجاور ، صيدلية هشام وراءه على الرصيف الآخر للشارع ، اعتاد أن يأخذ منه الحبوب المنومة ، أتراه حيا ؟ يسلم عليه ، ويطلب بعض الأقراص المهدئة أو المنومة فقد تنفعه ، تحرك بتثاقل ، قطع الشارع ، شاب يقف فى الصيدلية لا يعرفه ، لم يحاول الدخول ، حتى ولو للسؤال عن هشام ، مضى ليجلس على مقهى قريب .

***

(٤)

سألها : أين تسكنين ؟

قالت : فى باب الشعرية .

قال : ألا توجد شقة فاضية حولكم ؟

تطلعت اليه بدهشة وقالت : أتتكلم جادا ؟

– طبعا . لم تعد الأمور كما هى ومللت من سكنى الفنادق الرخيصة.

– وهل تطيق السكن فى منطقة شعبية ؟

– ارخص يا سعاد .. على قد الحال .

قالت بحسرة : الله يجازى أولاد الحرام .. توجد شقة " قصادنا " تؤجر مفروشة .. دور أرضى .. " غالية حبة "

– على الأقل أرخص من الفندق ..

– هناك قهوة على راس الشارع عندنا .. يجلس عليها عم ناجى السمسار .. أدلك عليها .. اسأله .. ولما يفرجك على شقق قل له إنك سمعت عن شقة الحاجة فتحية المفروشة من المستأجر القديم ..

كانا قد عبرا ميدان العتبة ، وسارا فى شارع الجيش مقتربين من باب الشعرية ، سألها : ما أخبارك يا سعاد ؟

ردت بحزن : تزوجت .

لم يجرؤ على سؤالها أكثر من ذلك .

لكنها أضافت : ابنى زياد يملأ حياتى .. فى سنة خامسة .

سأل مترددا : زوجك ؟

نظرت اليه لحظة ، ثم خفضت بصرها ، وقالت :

- مشلول .. شلل أطفال من صغره . يمشى على كرسى بعجل .. كتر خيره .. ستر على .

انتابته قشعريرة ، الولد ابنه بالتأكيد ، لقد عانت كثيرا . لا يجرؤ على سؤالها ثانية ، لتفضى له بما تشاء ، لكنه لن يسألها .

لم تتكلم ثانية ، غلفهما الصمت . حتى أشارت إلى مقهى قائلة :

- هناك ، أشوفك تانى .

وأسرعت فى خطوها ، لتنسل إلى أحد الأزقة المتفرعة من الشارع الرئيسى .

***

(٥)

كل الشـقق التى رآها ، وهى قليلة ، تحتـاج إلى خلو لا يملك منه شيئاً . أدرك . آنذاك ، مدى الخسارة التى ألمت به حين فقد نقوده كلها. لم يهتم كثيرا حين اكتشف أن النقود قد سحبت من البنك ، وقـال يومها: إن الله يعاقبه ، لأنها نقود لا يستحقها . لكنه يعتبر نفسه ، الآن، مغفلا ، لا بد أن يستشير محاميا ، من حقه أن يسترد نقوده ، وأن يعرف من هو المستفيد من سحبها .

الحـيـاة تدب فـيـه من جـديد ، لم يهـده السـجن بعـد ، وهو على استعداد لأن يضحى بكل شئ من أجل استرداد حقه . رأى نفسه وكأنه يستيقظ من سبات ثقيل .

قـال له السـمسـار وقد رآه يجلس واجـمـا ، دون حتى أن يشرب قهوته :

- وحد الله يا استاذ .. ما المشكلة ؟

- المشكلة يا عم ناجى أن ليست لدى نقود .. أريد شقة بلا خلو .. لا تهم الأجرة .. حدثنى مستأجر عن شقة مفروشة للحاجة فتحية ..

- شقة دور أرضى ..موجودة .. لكنها فى " حارة من جوة حارة "

- الحقنى بها ..

عدد من النسـوة ، يجلسن حول أبواب البيوت يتسـامرن ، أولاد

يلعبـون بكرة من قمـاش ، قطط وكلاب مستلقيـة ونائمة باسـترخاء ، عربات قديمة يعلوها التـراب ، دجاج وبط ، بائعات خبـز وبيض ، كل المواصفات التى حذره زملاءه منها أيام كان فى السجن ، متوفرة هنا ، الحارة المغلقة والنسوة الثرثارات ، والدور الأرضى ، لكنه تغاضى عنها جميعا ، الشقة من غرفتين وصالة ، تطل نوافذها على الحارة ، دولاب خشبى قديم ومكتب أكثر قدما ، وسرير عريض يبتلع غرفة بكاملها ، طاولة وثلاثة كراسى ، بوتاجاز بثلاث عيون دون فرن ، أطباق مطبقة من الصاج ومـلاعق لو ضغطت عليـها ،لانقصفت بين يديك ، وبمئة جنيه فى الشهر .

ابتـسم للمـأسـاة المرتسـمـة أمـامـه ، لكنهـا أرخص من الفندق . السكنى فيها مغامرة ، فلماذا لا يجرب مدة شهر مثلا ؟ راقت له الفكرة فوافق . طلب منه السمسـار أجرة شـهر مضـيفا اليـها نصف شـهر كتأمين ، قال إن بوسعه أن يسترده حين يغادر الشقة .

يسـتطيع أن يغـادر الفندق أول الشــهر بعـد أيام قـلائل ، أعطى السمسار عشرة جنيهات فطلب مثلها أيضا ، ووعده أن يمر فى الغد ، ليوقع العقد ويستلم الشقة .

نظفت سـعاد المكان ، وأعادت ترتيبه ، بدت الفرحة فى عينيـها ، وهى تفعل ذلك وكأنها ممتنة له أن تركها تقوم بالعمل .

***

(٦)

أقفل باب الشقة وتنهد بارتياح ، وكعادته كلما غير مكان نومه لم يستطع النوم ليلتها . عزفت الكلاب مقطوعة من النباح حطمت أعصابه، حتى فكر بعد يومين أن يترك الشقة ويعود إلى الفندق ، بل إنه دفع عربونا لغرفة في أحد البنسيونات ، وعاد إلى الشقة ليحضر حقيبته ، ويغادر إلى الأبد ، إلا أنه تاه في محاولته اختصار الطريق وتشابهت عليه الحارات ، ولولا أنه يحفظ العنوان ، وظل يسأل ويسأل حتى استطاع الوصول عبر أزقة وعطفات كانت تطبق على صدره ، فتزيد من ضيقه ، وحين وصل الشقة فقد الرغبة في تركها تلك الليلة ، وأجل ذلك إلى اليوم التالي ، وظل يؤجل الأمر حتى نزع الفكرة من ذهنه بعد أسبوعين .

اعتاد على الشقة ، واعتادت قدماه الطريق ، وبدأ يستكشف المنطقة حوله على قدميه ، ويلازم البيت باقي الوقت ، يقرأ ، ويشاهد التليفزيون، يشاركه في ذلك زياد بن سعاد ، لم تقل له إنه ابنه ، لكنه يحس ذلك ، أنجبت من زوجها العليل ولدا وبنتا ، لم يتطفلا أو يعتادا عليه ، زياد هو الذى يلازمه طوال اليوم بعد عودته من المدرسة ، بل وكان يتناول غداءه وعشاءه عنده ، وسمع مرة والده يقول له : لا تلعب في الشارع . اذهب عند الأستاذ حمدان . الرجل يعرف أن الولد ليس ابنه ، لكن هل يدرك أنه ابن حمدان ؟ في المساء ، وبعد تمثيلية السهرة، كانت سعاد تنادى بأعلى صوتها من شقتها على ابنها ،

فينتفض الولد قائما ، ويسارع إلى شقتهم . أضفى على حياته جوا أسريا كان يفتقده ، بدأ يشترى له الملابس واللعب ، ولم يكن أحد يعترض على ذلك ، وبالمقابل ، كانت سعاد تغسل له ملابسه . وتنظف الشقة كل أسبوع فى اجازتها يوم الأحد ، وتعد له الطعام الذى يريده اذا طلب منها ذلك ، لم يفكر ، قط ، أن يعيد علاقته بها ، يشعر بحبها ، ويلمسه فى كل ما تقوم به تجاهه ، لكن لم يتخذ خطوة لاستغلال هذا الحب ، فهى امرأة متزوجة وهو رجل مؤمن ، لكن أسعده أن يكون له فى النهاية هذه العلاقة السليمة مع أسرتها ، كان فى المناسبات يشترى لهم الهدايا والملابس ، وتردد كثيرا قبل أن يدس فى يدها مبلغا من المال ، اعترضت بشدة فى البداية ، لكنها أخذته ، قال لها : كل شهر أعطيك مثل هذا المبلغ ، ترقرقت الدموع فى عينيها ، وقالت له : لولا أن مطالب الأسرة كثيرة لما أخذت منك مليما واحدا .

ربما هذه العلاقة الأسرية البريئة هى التى جعلته يحب شقته بكل عيوبها ، ويحب الحارة بضوضائها وقذارتها ، وأن يكون متسامحا فى معاملاته وعلاقاته مع الآخرين . يجلس فى الصباح فى نافذته يقرأ الجرائد ويدخن وهو يشرب الشاى ، ثم يرتدى ملابسه اذا أحس رغبة فى الخروج يذهب إلى مكتب المنظمة ، لا يفعل شيئا سوى الثرثرة مع الآخرين ، فهم لم يطلبوا منه أصلا أن يفعل شيئا ، عند الظهر أو بعد ذلك بقليل يعود إلى شقته ، يسعد لسعادة زياد بلعبة أحضرها له ، أو هدية أتى بها لأخيه وأخته . علاقاته محدودة ، يذهب أحيانا إلى مقهى فى وسط المدينة يجتمع فيه بعض الأدباء ، يتحدثون فى موضوعات

مختلفة ، وقد يقرأ بعضهم شعرا أو قصة ، لكنه لم يوثق علاقته بأحد منهم ، وركن إلى حياته البسيطة الهادئة دون اهتمام معين بالسياسة ، مع متابعة دؤوبة لما يحدث فى العالم حوله ، مع شعوره بأنه بعيد عن ذلك كله ، بعد السماء عن الأرض . تنتابه أحيانا نزعات كراهية عنيفة ، كتلك التى كانت تمر به ، تكاد تدفعه إلى تصرفات حمقاء ، كان يقمعها فى النهاية قبل أن تمد رءوسها خارج ذاته .

تصالح مع نفسه ، وحاول أن يسامح العالم كله ، لكنه لم يستطيع أن يسامح اليهود ، ومع ذلك ، كان ينغص عليه سعادته ، ويؤرقه ذلك الأحساس المجهول الذى يسيطر عليه بأن هناك مصيبة ستقع فوق رأسه ، لا يعرف ما هى أو متى تقع ، لكنها قادمة ،هذا الأحساس يزعجه بشدة ، ويبدد الراحة التى بدأت تحيطه ، فينتاب القلق سلوكه وتصرفاته ، وتهيمن عليه كآبه تطول أو تقصر مدتها دون أن يعرف أسبابها ، وبدت له الفترة التى قضاها فى المستشفى ، كأنها حلم مر به ذات ليلة ونسيه عند استيقاظه فى الصباح .

أربعة أشهر مرت عليه فى الحارة ، كاد فيها أن ينكر نفسه ، فقد تغير كثيرا ، لكنه تغير ظاهرى ، فما زالت بداخله براكين كثيرة تود أن تنفجر ، عرف ذلك ، حين عاد يوما إلى شقته فى الثانية ظهرا ووجد ورقة صغيرة مدسوسة تحت عقب الباب ، ظنها فى البداية إخطارا من شركة الكهرباء ، لكنها كانت استدعاء من مباحث أمن الدولة فى اليوم ذاته فى الساعة الثامنة مساءً .

حطت عليه الكآبة مرة واحدة ، راجع وثيقة سفره ، وجد إقامته

صحيحة ، حاول أن يتذكر أين قادته قدماه فى الأيام الأخيرة ، لم يجد فيما فعله ما يمكن أن يستدعوه من أجله ، استرجع أسماء كل من قابلهم ، سواء على المقهى أو فى مكتب المنظمة ، وفكر ..من منهم قد يكون وشى به ؟ وبماذا يمكن أن يشى ؟ اليوم استدعاء ، وغدا اعتقال هكذا جرت عادتهم ، لا يتركون أحد فى حاله .

قاوم رغبته فى عدم الذهاب واتجه إلى مبنى المباحث بخطى متثاقلة.

الهواجس تحيط برأسه وتدور فيه كحركة الالكترونات حول نواة الذرة ، كما رآها فى فيلم علمى ، ابتسم ، لو كان انسانا آليا لفعل بهم الأعاجيب ، لكنه للأسف من لحم ودم ، أتكون تلك القصيدة التى كتبها ونشرها فى صحيفة معارضة ؟ لكنها قصيدة عادية ليس فيها ما يلفت النظر ، قد يكون الحوار الذى دار على المقهى هو السبب ، كان الكثيرون حاضرين ، لكنه لم يقل شيئا يستحق أن يستدعوه من أجله ، ربما شوه أو حرف الواشى أو المخبر كلامه ، ربما لم يفهم رجلهم الحديث ، فلفق ما لفق ؟ أو يكون السبب ذلك الكتاب الذى أرسله إلى صديق فى الخارج بالبريد المسجل ؟ أو تكون تلك الفتاة التى تكتب شعرا ليس بشعر ، مثل شعره على كل حال ، وتسأل اسئلة كثيرة لا علاقة لها بالأدب ، حتى أنه قال لها غاضبا أتعملين مخبرة ؟ كفى عن أسئلتك . كل شئ جائز ، بعد قليل يصل ويعرف السبب ، الحمد لله أنهم أرسلوا اشارة ، ولم يأتوا للقبض عليه .

***

(٧)

حين وصل ونطق باسم الضابط الذى قرأ اسمه على الورقة ، برز من الزوايا رجال بلا ملامح ، بدوا كالا شباح في الضوء الضعيف ، خيل إليه أنه كالذبيحة تساق إلى المسلخ ، قادوه وسط أشكال آدمية تروح وتغدو بآلية ، تنطق لغة عنيفة بذيئة من دفع وزق لمن يقودنهم من البشر . رغب أن يسأل الضحايا : بأى ذنب جاءوا ؟ وخاف أن يسأل أو حتى أن يشير ، بات يخشى من تلفيق تهمة له ، دفعه السائق إلى غرفة فتح بابها ، ونطق بكلمتين ثم أغلقه وراءه ومضى .

ضابط صغير السن ، رفع سماعة الهاتف وقال : إنه هنا ، وترك مكتبه وغادر من باب جانبى .

غرفة واسعة ، أدار بصره فها ، مكتبان أمام كل منها كنبتان ، ودولاب قرب كل واحد منها ، كرسيان من الخشب فى المنتصف .

ظل واقفا برهة ، قبل أن يفتح الباب ، ويدخل الضابط الذى كان له الفضل فى ارساله إلى المستشفى المجانين .

جلس وراء أحد المكتبين ، وهو يبتسم قائلا :

- ها يا حمدان .. عقلت ؟

قال بهدوء : وهل تعتقد أنى كنت مجنونا ؟ !

أشار اليه بالجلوس على كنبة أمامه ، جلس وهو يوحى لنفسه بضبط أعصابه ، التى بدأت تعبر عن بوادر ثورتها

قال الضابط وهو يشعل سيجارة : عشر سنوات فى مستشفى المجانين تجنن أى عاقل ..

قال بهدوء مصطنع : خير ان شاء الله .. ؟

قلب الضابط بضع أوارق أمامه ، وحمدان ينظر اليه بغيظ ، قال فى نفسه : فى سوق الرجال لا أشتريه بمليم . نحيف متوسط القامة . أصفر الوجه ، يطل من عينيه حقد ، كأن الدنيا سحبته اليها دون رغبته، رفع رأسه ، وقال مؤكدا كلماته : أنا كنت غير موافق على إخراجك من المستشفى .. وعند أى بادرة منك لا نرضى عنها .. سأعيدك اليه فورا .

تمالك أعصابه وقال : ماذا حدث منى إن شاء الله .. ؟

- نحن نعرف جميع تحركاتك .. أتحب أن تعرف أين ذهبت مساء أمس مثلا ؟

- لم أذهب إلى أى مكان .

أمسك الضابط بورقة ، وبدأ يقرأ منها :

- فى الساعة الخامسة إلا ربع ، خرجت من بيتك وسرت على قدميك حتي بائع الصحف فى الميدان ، قلبت بعض الكتب ، واشتريت جريدة المساء ورواية لخيرى شلبى .. وكتابا ..

قاطعه قائلا بهمس :هذه كتب تباع على الأرصفة ، وليست ممنوعة .. أشار إليه بيده أن يصمت : بعد ذلك سرت فى شارع الجيش ، ودخلت إلى زقاق جانبى على شمالك .. لتصعد إلى مكتب الأستاذ مجدى صفوت المحامى ..

توقف الضابط قليلا ، هز حمدان رأسه ، وقال :

مجدى صفوت كما قلت أنت محام .. ذهبت اليه من أجل قضية .. لا أعرفه ولا يعرفنى .. اذا كان متهما لديكم فى شئ .. سأغيره ..

ابتسم الضابط : دائما توقع نفسك فى المشاكل .. مالك ومال القضايا والكتابة والشعر والقراءة خليك فى .. حالك وأحمد ربنا .

- يا فندم .. بالنسبة للشعر فهو هواية ..أكتبه لأنه يريحنى ... والقراءة أقضى بها الوقت ، بدل الجلوس على المقهى .. ثم القضية ضرورية ، فحين خرجت وجدت كل نقودى التى فى البنك ، قد سحبت بشيك مزور. .

قال الضابط بغطرسة : أستطيع أن اسجنك خمسة وأربعين يوما ، قبل الدفع بك إلى النيابة ..

قال حمدان بسخرية : تستطيع يا باشا ..

قال الضابط بعصبية : ألا تصدقنى ؟

- أنا لم أقل ذلك .. تستطيع ، أيضا ، أن ترسلنى إلى مستشفى المجانين ثانية لو أردت سعادتك ..

- اذن خليك فى حالك .

- أنا فى حالى .. اقرأ أو لا أقرأ .. أكتب الشعر أولا أكتبه ، فهذه ليست مهمة الأمن على ما أعتقد .

- راسك ناشف ولم تفهمنى .. لا تثر " شوشرة " حول نفسك .. لا

بالكتابة ولا بالقضايا .. أنا خائف عليك .. هل تعدنى أن تكون حسن السير والسلوك .. قال حمدان بعصبية : لا . واذا خالفت القانون اعتقلنى .

ضحك الضابط بغيظ ، وضغط على زر بجانبه ، فدخل بسرعة مخبر وقف وراءه ، قال ببرود : خذه .. ضعه فى الحجز .

زغده المخبر فى كتفه ، وأمسك به من ذراعه ، وقاده إلى زنزانة تقع فى بدروم المبنى ، دفعه إلى داخلها ، وأغلق الباب ، ومضى .

متران فى متر ونصف ، وكوه تطل على جنود حراسة المبنى فى الخارج لا تبدو منها سوى أقدامهم ، عارية من أى شئ . الجدران مملوءة بشخبطات بدأ يتسلى بقراءتها . مرت ساعة ، وهو يدور من جدار إلى جدار يقرأ حكما وأمثالا وأشعارا وشعارات وآراء كتبها شيوعيون ، وأخوان مسلمون ، ناصريون وبعثيون ، قوميون وجبهويون ، أناس من كل الاحزاب والتيارات ، قال فى نفسه : هؤلاء الناس لا يريدون إلا أن يظل كل امرئ فى حاله ، لم يتركوا أحدا له رأى إلا اعتقلوه ، يريدونك أن تعيش كالحيونات ، والأدهى أن تتنازل عن حقك أيضا .

***

(٨)

مـر الوقت ، وهو جـالس على الأرض ، مسـتندا إلى الجدار يفكر ، نهض وبدأ يتمشى فى الزنزانة وينظر من الكوة التى كانت فى مستوى بصره ، ومستوى الأرض فى خـارج المبنى ، يتـفرج على أقـدام جند الحراسة ، ويسمع صوتهم يتناقشون ويروون النكات لبعضـهم ، وبينه وبينهم مسـافـة ، فـالكوة ذات عمق يصل نصف متـر ، وشـبكة سلك تسدها من الجانبين .

انتبه على الباب يفتح ويدفع داخل الزنزانة بمجموعة من الشباب ، وأغلق الباب دونهم . نظر إليهم ، فعرف من ملامحهم أنهم فلسطينيون، مرهـقون ، تمدد البـعض على الأرض ، وجلس البعض القرفصـاء ، وظل الآخرون واقفين .

سأل أحدهم : لماذا أتوا بكم ؟

قـال : لا نعـرف من المطار إلى هنا لم يسـمـحـوا لنا بالدخـول .. أركبونا عربة جاءت بنا إلى هنا ..

أكثـر من واحـد بدأ يتكلم فى الوقت نفسـه . لزم الصـمت حـتى تلاشت الضجة رويدا رويدا ، جلس الوقوف ، ونام من استطاع النوم .

فتح الباب للمرة الثانية ، ووقف يسده شبح إنسـان باهت الملامح ، بنظرة متعالية ، قام الجلوس وحملقت فيه كل العيون . دفع القريبين منه الى زواية وقال بعنجهية : سأعصركم حتى أعرف من الذى أرسلكم ولماذا جئتم إلى مصر ...

قال أحدهم : لماذا تفترض أن هناك من أرسلنا .. ؟

قال بعصبية : اخرس .. لا تتكلم .. أنا أعرفكم .. قرفنا منكم .. خرا عليكم ، وعلى فلسطين ..

ساد صمت موحش ، وأحس حمدان بكراهية شديدة تتلبسه ، أراد أن يتقيأ ، تمالك نفسه ، خرجت من فيه لفظه " اوع " رغما عنه ، التفت اليه الضابط ، وقال : أما زلت هنا ؟

لم يرد ، أشار إليه بالتقدم ، تقدم تراوده فكرة أن يطبق بيديه على رقبته وينهى حياته ، لحظتها ادرك أن حياة الدعة التى عاشها قد انتهت، ولابد أن يقود حياته فى الطريق التى تدفعه اليه دماؤه .

دفعه الضابط إلى مخبر كى يصعد به .

وجد ضابطه ، كأنه ينتظره . قال له : هل عقلت ؟

قال : عقلت .

قال : أستطيع أن أتركك فى هذه الزنزانة خمسة وأربعين يوما على الأقل ، ثم أجددها ..

قال : أعرف .

– الآن .. ماذا ستفعل ؟

– سأظل فى حالى .. لا علاقة لى بالشعر أو بالقضايا ..

علت ابتسامة وجه الضابط . ربت على كتفه ، وقال بأخوة متكلفة :

– أنا خائف عليك .. لكن الآن اطمئن قلبى .

- الحمد لله .

- تستطيع أن تعود إلى بيتك .

لم ينفجر مرجل غضبه إلا حين دخل شقته . كان يدور فيها ، يريد أن يحطم كل شئ . ابتلع حبتين من الحبوب المهدئة ، واستلقى على سريره في الظلام . انتابته رجفة ، فتغطى بكل ما لديه من أغطية ، ومع ذلك ظل يرتعش . أصابته حمى لا يعرفها ، لكنه يعرف اسبابها . لم يكن الهدف من استدعائه ، منعه من كتابه الشعر أو القراءة ، فذلك لا يهمهم فى قليل أو كثير ، إنه ير يده أن يتوقف عن الأستمرار فى القضية ، فالاستمرار فيها يقود اليه ، إلى الضابط نفسه ، أو من يريد أن يحميه ، تلك هى القضية .

ذهبت الرعشة . مد يده ، فتح المذياع ليستمع إلى آخر نشرة أخبار فى إذاعة لندن ، وكانت صدمته الثانية ، اغتيال نور الدين الأيوبى فى بروكسل . ودارت الدنيا به ، ظل يتقلب فى سريره ، كالمحموم . العرق يغطيه ، ويجف ثم يعود فيغطيه ، يتقلب كأنه ينام على سرير من جمر ، هلوسات تحيط به ، وتدور معه بين اليقظة والنوم. مرة يغطى نفسه ، وأخرى يرمى بالأغطية بعيدا ، تتشنج أعضاؤه وتنبسط ، يصرخ ويكتم صرخاته ، تفور معدته وتهدأ ، تشتد مفاصله وتسترخى ، ظل فى تلك المكابدة حتى بزغ ضوء الفجر ، نهض وتوضأ وصلى ،فتح النافذة ، وجلس ينظر إلى الحارة الهادئة ، افكاره مشتعلة، ونظراته هادئة .

حين التحق بمدرسة الصنايع بغزة فى السنة الأولى الثانوية ، كان

نور الدين الأيوبى (أبو سامح) ناظر للمدرسة التى كانت كأنها ثكنة عسكرية . النظام أولا وثانيا وثالثا ، كان التلاميذ يتناوبون فى فرق تسمى فرق الحكم الذاتى لادارة المدرسة تشبه الشرطة فى المدينة . وجاء من نصيبه يوم أن يقف على بوابة المدرسة ، يعلق شريطا أحمر على ذراعه ، يدون اسم كل زائر وسبب الزيارة ، ويرسل معه زميلا له ، يدله على غرفة الناظر أو المدرسين أو مقصف المدرسة ، أو المكتبة ، أو ورش الحدادة أو النجارة .. حسب عمله وحاجته .

كان فخورا بمدرسته ، فخورا بممارسة عمله ، وجاء زائر ليدوس على كل مشاعر الفخر التى تغمر نفسه ، ولى أمر أحد التلاميذ ، اندفع من الباب دون سؤال ، اندفع بتهور ، والغضب يرتسم على وجهه ، وحين حاول اعتراضه ، دفعه فى صدره بقوة وغل فوقع على الأرض ، لكنه نهض بسرعة ، وتعلق بسترة الرجل ، فالتفت اليه الرجل ليصفعه بشدة ، فزاد من تشبثه به ، وبدأ يدفعه ناحية الباب ليخرجه من المدرسة ، وقام عراك بينه وبين الرجل ، وجاء بعض زملائه من الحكم الذاتى ، وبعض عمال المدرسة مهرولين ، أمسكوا بالرجل فبدأ يتعارك معهم ، يضرب هذا بيده وآخر بقدمه ، ثم أخرج سكينا من جيبه ، فتفرقوا من حوله فزعين . هدد الرجل كل من يقترب منه ، وبدأ يشق طريقه نحو مبنى الادارة . المسافة كبيرة بين باب المدرسة وبين الادارة، وقبل أن يصل الرجل المبنى ، كان حوالى عشرة من رجال الجيش المرابطين فى معسكر يفصل بينه وبين المدرسة سور قليل الأرتفاع ، يحيطون بالرجل ، ويكيلون له الركلات واللكمات ، ويستولون على

مديته، ويطرحونه أرضا . حملوه إلى غرفة ناظر المدرسة ، وانسحبوا ، وأستدعى حمدان لسماع أقواله . كانت المرء الأولى التى يدخل فيها غرفة الناظر والمرة الأولى التى يدور فيها بينهما حديث .

ربت الناظر على كتف حمدان ، واتجه إلى الرجل قائلا : أتظنها وكالة بلا بواب .. ابنك سيفصل من المدرسة ، ولن يقبل ثانية وأنت قد يرأفون بحالك وتقضى بضعة أيام فى السجن .

وكأن الرجل كان مسطولا فأفاق ، بدأ يستجدى الناظر ، ويحاول أن يقبل يده ، ويقبل رأس حمدان ، ويطلب العفو والسماح وعدم تدمير مستقبل ابنه ، يومها تضايق من الرجل ، وود لو يركله ، كان عليه أن يتحمل نتيجة خطئه بكبرياء ، لا أن يتذلل ويتمسح كالكلب . لا يذكر حمدان علام انتهت مشكلة الرجل ، الذى كان أحد المدرسين قد ضرب ابنه فجاء ليضرب المدرس ، لكن الناظر عرفه منذ ذلك اليوم ، وحدثه عدة مرات فى أمور مختلفة ، وكان حمدان يعمل فى المدرسة كأحد عمالها ، تطوعا دون أن يطلب منه أحد ذلك ، كان يروى الحديقة ، ويعتنى بالزرع الذى ينمو فى المساحات الموجودة خلف ورش النجارة والحدادة ، ويشترك فى تسويق المحاصيل ، والعناية بنظافة المدرسة ، بل كان يساعد عامل المراحيض فى التنظيف ، كان يجد سعادة لا حد لها فى خدمة الآخرين ، لكنه كان يكره الطبيعة المتقلبة فى البشر ، مع أنها نتيجة طبيعية لضعف الإنسان ، كل ذلك كان مدعاة لتأكيد صورته فى عينى الناظر ، حتى أنه وهو فى السنة الثالثة الثانوية كان يرسله بالمقالات التى يكتبها ، ليوصلها إلى مقر جريدة "أخبار فلسطين" الذى

يقع على مطلع عند مدخل مدينة غزة ، كان يقرأ المقالات قبل توصيلها ، ويقرأها ثانية ، حين تنشر فى الجريدة ، وقد جرؤ مرتين أو ثلاث على مناقشة الناظر في بعض ما جاء فيها ، وقبل أن ينتهى العام، كان نور الدين قد جنده فى جبهة فلسطين العربية فى خلية واحدة ، مع أربعة آخرين ، وبعد انهائه الأمتحانات ، زار نور الدين فى منزله ، وتوثقت علاقتهما ، وعرف عنه الكثير ، عرف أنه فى الأصل كان ضابط مخابرات ، عمل مع مصطفى حافظ الذى كان مسئولاً عن الفدائيين فى قطاع غزة أوائل الخمسنيات ، وعرف أنه قد سجن فى سجن عتليت الرهيب فى إسرائيل ، وأنه بعد نجاحه فى الهرب فى مغامرة شجاعة ، فضل العمل فى وظيفة مدنية كناظر مدرسة .لم يمت بطلقات رشاش يهودى أطلقت عليه ، ومات بطلقة مسدس من أحد أبناء وطنه . بعد قيام منظمة التحرير ، التحق بها نور الدين ، وتغيرت حياته ، أعطى نفسه للقضية وترك التعليم وانقطع الاتصال بينهما ، لكنه كان دوما يتتبع أخباره ، حتى أصبح ممثلا للمنظمة فى إحدى الدول الأوروبية ، ويشاء الله أن يمر بالقاهرة ويسأل عنه ويخرجه من المستشفى ..ثم يقتل هناك فى أوروبا .كان يعتبره بمثابة والده ، لذا عليه أن ينتقم له .

ردد فى نفسه : ممن سينتقم المرء ؟ .. وممن ؟

هو ، شخصيا أمامه بشكل عاجل ثلاثة أشخاص ، ذلك الضابط الذى أهانه ، وأدخله مستشفى المجاذيب ، وذلك الحقير الذى سلبه نقوده ، ثم هذا الذى قتل نور الدين . سيتفرغ لهم ، ربما يعتبره الآخرون مجنونا ، فاذا كان البحث عن العدل ، جنونا فهو مجنون .

***

(٩)

بدأت الحياة تدب فى الحارة ، كل من مر به ، يلقى عليه تحية الصباح حتى الأطفال ، خرجت سعاد إلى عملها وبيدها زياد يذهب إلى المدرسة وقفت أمامه متسائلة عن استيقاظه المبكر .

قال : قد أسافر فترة يا سعاد .. أرجوك أن تعتنى بالشقة فى غيابى .

- إلى أين يا استاذ حمدان ؟

- عند قريب لى فى الأسكندرية .

- وهل ستغيب طويلا ؟

- لا أعرف .. ربما شهر أو أكثر .. اليك مفتاح الشقة وأجرة شهرين .. قد اتصل بك فى عملك .

قالت وهى تنظر إلى الأرض : ستوحشنا ..

- سأعود حالما أنهى بعض المشاكل .

رفعت زياد اليه ، فاحتضنه وقبله ووضع فى يدها مبلغا أخر ، قائلا:

- قد أسافر اليوم - أوغدا على الأكثر .. لا تقلقى .

سألته : هل فطرت ؟

هز رأسه ، وراقبها وهى تمضى ، تمسك " زياد " بيدها فى اتجاهها إلى المدرسة ، قال فى نفسة : ترى هل يقدر لى أن أراهما ثانية .

ارتدى ملابسه ، وخرج يسير متمهلا حتى وصل الشارع الرئيسى ذهنه يعج بالخطط ، بأيها يبدأ ؟ اغتيال نور الدين يسيطر على أفكاره ، كأن الرجل مر بالقاهرة لينقذه ويعود إلى عمله ليلقي مصيره ، كيف السبيل إلى من قتله ؟ أليس من المضحك أن كل من يفكر فى الانتقام منهم من العرب ؟ لا يستطيع الآن أن ينتقم من اليهود ، سيأتى دورهم، الدور الآن على الذين ينهشونه ، الذين خذلوه فى كل مواقفه ، وتخلو عنه وعذبوه وكبلوا خطواته ،لا يستطيع أن يفكر فى أحد سواهم ، فكيف السبيل إليهم ؟

تتصاعد داخله دفعات متوالية من الغيظ والكراهية ، عليه أن يضبط ايقاعاتها ويوجهها إلى مسارات آمنة ، عليه ألا يندفع أذا أراد لمخططاته النجاح ، بهدوء وبرود أعصاب ، يفتح المرجل بحذر ليتحكم فى الغضب المنطلق ولا يخبط خبط عشواء ، الساعة الآن الثامنة . الخطوة الأولى التوجه إلى المحامى الذى وكله فى قضية النقود يطلبون منه سحب القضية والتخلى عن حقه ، إذا وجدوه يحق لهم أن يطلبوا منه ما شاءوا . يحمل فى جيبه وثيقة سفره وكل ما لديه من نقود ، لم يفكر حتى فى حمل بعض ملابسه ، من الذى أشار عليه باستشاره هذا المحــامى ؟ يجب أن يدقق منذ الآن فى كل خطواته ، من الذى أبلغ المباحث عن القضية ؟ أكانوا يراقبونه أم أن للمحامى ضلعا فى الموضوع ؟ الرجل معروف بوطنيته ؟ ومشهور بمرافعاته عن شخصيات مختلفة من المعارضة فى البلد ، من غير المعقول أن يكون على صلة بالمباحث ، بالتأكيد كانوا يراقبونه ، بدليل أن الضابط سرد عليه

تفاصيل تحركاته ، أو أن المراقبة تمت بعد علمهم بالقضية ؟ سيستشير المحامى ، ومن خلال حديثه يستطيع أن يفهم ، تلفت حوله ليتأكد أن أحد لا يراقبه ، اخترق أزقة متفرعة من شارع الجيش فى اتجاه العتبة ، تأكد أن لا أحد يتبعه ، واصل سيره حتى شارع عماد الدين ثم عاد أدراجه إلى شارع بورسعيد ، ثم اتجه إلى شقة المحامى من الاتجاه الآخر صعد السلم إلى الدور الثالث ،فهو لا يحب استخدام المصاعد . المكتب مفتوح ، استقبله وكيل المحامى بالتحية ، المحامى على وشك المغادرة إلى المحكمة ، كان فى عجلة من أمره ، شرح له ، باختصار، موضوع استدعائه وطلبهم منه التخلى عن القضية . أكفهر وجه المحامى ومسح فمه بيده ونظر إلى حمدان بتمعن ، وقال أخيرا :

– وماذا قررت ؟

قال حمدان : لن أتخلى ..المهم أنت ..

ابتسم المحامى : لم أتعود أن أخذل من يلجأ إلى .. لكن هناك ما أريد أن استوضحه منك . أشعر أنك قد أخفيت عنى الكثر.. وأريد أن أفهم الموضوع بالتفصيل . الآن ليس لدى وقت . اذا كان لديك استعداد للبوح ، فانا على استعداد لسماعك ..

– متى ؟

– اليوم . لكنى ليس هنا فى مكتبى .

كتب له عنوانا ، وهو يقول : اليوم فى الواحدة بعد الظهر .. سأخرج من المحكمة إلى هناك .. ستجدنى فى انتظارك .

***

(١٠)

خرج من مكتب المحامى مطمئنا ، فللرجل قدرة على بعث الاطمئنان فى النفس ، يشعر بذلك دون أن يستطيع تحديد الأسباب ، على عكس وكيله تماما وعليه أن يأخذ حذره منه ، وفكر أيواصل تنفيذ خطته أم ينتظر نتيجة المقابلة ؟ تردد قليلا ، ليسر المحامى فى طريقه ، أما طرقه الأخرى فهو الذى يقرر متى وكيف يسير بها ، لن يذهب إلى المباحث مرة ثانية ، لن يقع فى ايديهم ، لا سجن ولا مستشفى ، بل حرية مطلقة ، ذلك ما يعاهد نفسه عليه ، سينتزع حريته بيده وسيذيقهم من كأس العذاب نفسها التى أذا قوها له .

من كشك بشارع الجمهورية ، اتصل بالرقم الذى أعطاه اياه الشيخ عبد الستار ، رد عليه صوت خشن ، أخبره باسمه وبأنه من طرف الشيخ ، سادت لحظة صمت ، حتى أنه قال : ألو .. هل أنت معى؟

وجاءه الصوت ثانية يقول له : فى صلاة المغرب بمسجد السيدة زينب نلتقى .. قد لا تعرفنى لكنى أعرفك .. رأيتك مرتين مع الشيخ . تعال وحدك .

نظر فى ساعته ، لم تتعد التاسعة بعد ، اشترى جريدة الحياة والأهرام ، ومال إلى مخبز ، واشترى فطيرة صغيرة ، ثم ذهب ليجلس على مقهى فى زقاق متفرع من شارع شريف ، قلب صفحات الحياة

بحثا عن تفاصيل اغتيال نور الدين ، الأوصاف التى أدلى بها شهود العيان تقول أن الفاعل شاب فى حوالى العشرين ، يبدو كطالب فى الجامعة ، كان ينتظر على ناصية الشارع الذى يقع فيه مكتب المنظمة ، وحين كان نور الدين يترجل من عربته للدخول إلى مكتبه ، أمطره بخمس رصاصات ، وولى هاربا بعد أن ردد كلمة خائن عدة مرات .

وفكر حمدان فى نفسه : يا الله أين الحراسة والأمن يا نور الدين؟.. تاريخ حياة طويل ينطوى فى لحظة ، ما الذى دار فى خلدك وأنت تتلقى الرصاصات الغادرة ؟ هل فكرت فى شئ ؟ أم فوجئت فشُلّ تفكيرك ؟ هل نطقت بشئ ، أو مت وصورة قاتلك آخر ما ارتسم على صفحة عينيك ؟ كم مرة تعرضت للموت ونجوت ! لم تكن ساعتك قد حانت بعد ، وإلا من كان سينقذ حمدان من سجنه وجنونه ! فى أوائل الخمسينات ربما فى اليوم نفسه الذى قتل فيه اليهود عائلة حمدان كلها فى قرية خزاعة ، وقبل أن يكسر عبد الناصر احتكار السلاح ، دق باب بيتك فى مخيم اللاجئين ، الوقت بعد منتصف الليل ، فتوجست شرا ، فطارق الليل مكروه ، فهو لا يأتى بما يسر عادة ، فتحت الباب بحذر ، وفوجئت برجلين ملثمين ، يوجه لك أحدهما مسدسا ، همس لك باسمك وعملك السابق فى سلاح الإشارة ،وطلب منك التعاون معهم أو القتل . فاخترت التعاون انقاذا لحياتك ، ووافقت على الموعد المحدد لك على الحدود بعد أسبوع . مضيا إلى سبيلهما ، وطار النوم من عينيك ، وعند أول خيوط الفجر أيقظت جارك السائق ، وطلبت إليه أن ينقلك إلى غزة على الفور لأمر طارئ ، ذهبت لمقابلة

مصطفى حافظ الضابط المصرى المشرف على عمليات الفدائيين الذين يتسللون من حدود قطاع غزة ، ليقوموا بعملياتهم ضد الصهاينة فى فلسطين ، وشرحت له الأمر ، فطلب منك مجاراتهم والتعاون معهم ، وقرر تزويدك بالأخبار لتنقلها اليهم وبدأت عملك وأنت تحمل روحك على راحتك فى كل عملية ذهاب وعودة ، تخترق الحدود عند نقطة معينة لتجد فى انتظارك عربة جيب اسرائيلية ، تحملك إلى أحد مستوطناتهم حيث يتلقون منك المعلومات ، ولتستمر الحال هكذا ثلاث سنوات ، حتى وشى بك أحدهم ، عميل كان يتظاهر بالعمل معكم وكانت المرة الأخيرة حين تخطيت الحدود واتجهت إلى عربة الجيب ، ولم يكن فى انتظارك سوى زخة رصاص من رشاش ، اخترقت جسدك بعرض بطنك ، وتركوك على الأرض الحرام فى منطقة الحدود ومضوا ، وكان لك عمر.. ولم تمت . التقطتك دورية عابرة إلى أحد مستشفياتهم ، وحكم عليك بالسجن عشرين عاما . وبعد ثلاث سنوات فى سجن عتليت قرب عكا ، قمت مع زملائك بتمرد داخل السجن ، قضيتم على الحراس ، وتسلقتم الأسوار بالحبال وأنتشرتم فى جبال فلسطين ووديانها ، لتطاردكم جنودهم وطائراتهم وليستشهد منكم الكثير ، وواصلت سيرك فى البرية ، واخترقت نهر الأردن ، وكتبت لك الحياة من جديد مع ثلاثة فقط من رفاقك ، وعدت إلى غزة لتصبح ناظر المدرسة الصنايع التى كنت تلميذك فيها ، وهأنت تقع اليوم شهيدا على أرض غير أرضك ، بيد طالب عربى يتهمك بالخيانة ، ترى بم يتهمونك ؟ وبم أقنعوه ؟ ربما عند انطلاقك فى عملك الوطنى لم يكن قاتلك قد ولد بعد ، مت وحملتنى

دمك، فبالرصاصات التى أطلقها عليك قد حكم على نفسه بالموت ولو بعد حين لو بقيت حيا أكنت توافقنى ؟ أم أنك تستنكر ما أنتويه ؟ لقد كنت ، طوال حياتك ، كارها للعنف ، اسلوبا أو هدفا ، لكن لكم دينكم ولى دين.

حين وصل بأفكاره إلى هذا الحد ، قطع ورقة الصحيفة التى تحمل التفاصيل ، طبقها ووضعها فى جيبه ، وترك الجرائد على الكرسى ، وقام يدب فى الشوراع على غير هدى تجتاح ذهنه أفكار متضاربه ، ينظر بين حين وآخر إلى ساعته ، مكان اللقاء مع المحامى ليس بعيدا ، فى شقة فى شارع خيرت ، قرب مسجد السيدة زينب مكان لقائه الثانى .

سار فى شارع القصر العينى ، ثم دخل شارع المبتديان ليصل إلى شارع خيرت وبدأ يتطلع إلى أرقام البيوت حتى عثر على ضالته ، كانت الساعة الواحدة إلا عشر دقائق ، صعد سلما ضيقا إلى الدور الأول ، لم تكن هناك إلا شقة واحدة ، دق جرس الباب وهو يأمل أن يكون المحامى موجودا ، فتحت له الباب فتاة فى السابعة عشر من عمرها تقريبا ، سألها عن المحامى ، قادته إلى غرفة جلوس ضيقة تحتوى على كنبتين وكرسيين ، بيت قديم ، وغرف ذات جدران عالية ، على الحوائط آيات قرآنية بأشكال مختلفة من الخطوط ، ولا صور هناك، قبل أن تسرح أفكاره ، كان المحامى يدخل عليه بجلباب أبيض وطاقية صغيرة على رأسه ، ومسبحة فى يده ، رحب به بحرارة ، وجلس على كنبة أمامه ، وقال : إنى مصغ اليك . كان قد استعاد فى

ذهنه ، وهو فى الطريق اليه ، مرات ومرات ما الذى سيخبره به وما الذى سيحجبه عنه ، أنه يثق بالمحامى ، لكن ، ليس عليه أن يضع كل أوراقه على المائدة مرة واحدة أو حتى على دفعات ، لكنه حدثه بالكثير ، وافقه المحامى أن محاولة تهديده لسحب القضية ، توحى بأن لهذا الضابط علاقة بالنقود ، أو يحاول أن يحمى من قام بسرقتها ، وبالتالى فهو يعرف التفاصيل ، خاصة أنه هو الذى قام باعتقاله وايداعه مستشفى المجانين ، كتب المحامى جميع الأسماء التى وردت فى حديثه وطمأنه بأنه سيعيد اليه نقوده ، وسيعرف التفاصيل التى خفيت عنه ، وطلب منه تحديد التورايخ بدقة ، وعلاقاته بكل من عرفهم سواء فى المنظمة ، أو الأمن ، وحتى الأصدقاء فى الفندق الذى كان يقيم فيه .

قال له المحامى وهو يودعه : كيف يمكننى أن أتصل بك ؟

قال له : دع الأمر لى ، فلن يكون لى عنوان ثابت ، لن أمكنهم منى ثانية . ربت المحامى على يده ، وأعطاه رقم " تليفون خاص " ليتصل به حين يريد ، وأعاد طمأنته بأن كل شئ سينتهى على ما يرام .

***

(١١)

خرج من عند المحامي راضى النفس، منشرح الصدر ، مفتوح الشهية ، مال إلى أحد المطاعم ، تناول غداءه ، ثم اتجه إلى مسجد السيدة زينب ، صلى العصر وجلس يقرأ في مصحف تناوله من مكتبة المسجد .

حين أذن المغرب ، أنهى قراءته، ووقف في الصف الأول خلف الأمام دون أن يتلفت حوله ، بعد الانتهاء من الصلاة ، مد الشاب الجالس بجانبه يده اليه قائلا : حرما قال : جمعا .

كان الشاب يلبس جلبابا أبيض ويطلق لحيته ،همس له . ألا تذكرني ؟ .. هيا بنا . ركبا عربة بيجو ، كانت تقف بعيدا عن المسجد قليلا ، يقودها شاب غير ملتح ، مضت بها خارج القاهرة إلى هذه الاستراحة ، أعطوه هذا المنزل المنعزل ليقيم فيه ، في الباحة الخلفية لحديقة الاستراحة الواسعة . لم يكلفوه بعمل محدد ، فقط يذهب كل يومين أو ثلاثة في عربة نصف نقل ، لاحضار بعض الفاكهة والخضروات من مزرعة تبعد عدة أميال في اتجاه القاهرة .

عاد إلى منزلة بعد حوالى اسبوع لاحضار ملابسه . رآه زياد وهو يستقل عربة الأجره عند رأس الشارع ، ظل يجرى وراء العربة حتى وصلت البيت ، تلقاه بالاحضان وضع ملابسه في حقيبة ، وبدا يرتب أوراقه وكتبه في حقيبة ثانية ، حين دق الباب بنقرات خفيفة ودخلت سعاد ، فوجئت بالحقيبتين ، قالت بدهشة : هل تسافر ثانية ؟

قال لها وهو يمسك بيدها ، وينظر في عينيها : لا أخفي عليك يا سعاد ما أمر به .. هناك من يحاول اعتقالي واعادتي إلى السجن . لن أمكنهم من نفسي . إنهم يعرفون هذه الشقة ، لو سألوا عني هنا ، أخبريهم أني تركتها لكني لن أتركها ، ستدفعين أجرتها ، وأنا غائب ، وسأمر عليكم ، بين حين وآخر وسأتصل بك في عملك قبل حضوري .. لا تخافي علي .

بدت حائرة والدموع تترقرق في عينيها . احتضن زياد ووضع في جيبه بعض النقود ، وركب السيارة التي كانت في انتظاره ، وعاد إلى الاستراحة .

عرف أن حياته لن تعود كما كانت ، وأن هناك حياة جديدة سيبدأها بأسلوب وطريقة مختلفة ، لا ينكر أنه استراح في حياته المنعزلة هنا ، لكنه بدأ يمل . ليس حمدان من يركن لطبيعة هذه الحياة ، وليس من أجل هذا اتصل بهم .

في الصباح سينهي هذا الوضع . سيكلمهم . نظر في ساعته ، لكنه الصباح .

***

(١٢)

سار إلى مبنى الاستراحة الرئيسى ، الهدوء يعم المكان ، والحركة على الطريق قليلة ، القى التحية على المشرف على المطبخ والبوفيه ، وكان يغالب النعاس على أحد الكراسى ، وبدأ يتجول بين الطاولات حين صك سمعه صوت احتكاك عجلات سيارة بالأرض . التفت . كانت سيارة سبور رياضية ، نزلت منها فتاة رشيقة يتقافز نهداها داخل قميصها الحريرى قصيرة الشعر ، غلامية التقاطيع ، يلتصق سروالها الجنز القصير بجسدها ، فيبرز مؤخرتها صغيرة مثيرة على ساقين من لحم متماسك يتفجر حيوية ، تحمل بيدها جرائد اليوم المختلفة . جلست إلى طاولة ، وقالت بتلقائية : نسكافيه وقطعة باتيه ...

وغرقت فى تصفح الجرائد .

جلس حمدان على طاولة أخرى يراقبها ، قال فى نفسه : هذه الفتاة بشكلها هذا دعوة للاغتصاب ، لقد حركت جميع حواسه ، وعبرت ذهنه فكرة الزواج . إلى متى سيظل يؤجل هذا الموضوع ؟ إنه يريد فتاة ترويه ، لكنه لا يتخيل أن تعاشره امرأة على مدار ساعات اليوم ولسنوات يعلم الله مداها من أجل ساعة لذة ، إن فيه طبع الوحوش ، فهو لا يحتاج المرأة إلا لاشباع رغبته ، فهو لم يخلق للاستقرار والحياة العائلية ، منذ صغره وهذا الإحساس يلازمه ، كأنه دوما على سفر ، وغير مستقر فى مكان ، حياته فى بلاد الآخرين تشعره دوما إنه

ضيف، وأن خطواته محسوبة عليه وحريته مقيدة ، وحياته ينقصها أثمن شئ فى الوجود ، قد يكون مخطئا ، ويعيش عمره كله بهذا الشكل ، عليه أن يلحق نفسه وينهى هذا الوضع ، بداية عليه أن يقنع نفسه بأن كل البلاد بلده ، ويعيش كالآخرين برغم أنف من لا يريد . يغير اسمه ويحمل بطاقة كأى مواطن . يتصرف بحريته ، يصيب ويخطئ ، يشتم ويمدح ، يبكى ويفرح ، لا كإنسان تحسب عليه خطواته يخاف أن يخطئ أو ينطلق أو ينتقد ، يسجل اسمه فى وحدة الأجانب ، ويحمل اقامة تتجدد كل سنة كأنه زائر عابر ، سيكون نفسه لا كما يريده الآخرون .

حين وصلت أفكاره إلى هذا الحد ، عاد يتفحص الفتاة ، إنه يحلم، فهل حقق هؤلاء المواطنون كل ما يحلمون به ؟ هل حقا أن حياة المرء فى وطنه تمنحه حريته الكاملة ؟ الواقع ينكر ذلك ، انه لن يتزوج ، فذلك قيد على حريته أكبر من كل القيود التى تكبله .

تركت الفتاة الصحف على الطاولة ، ونهضت برشاقة مغادرة . تابعها بنظره وتمنى لو يغتصبها ، نهض وجلس مكانها وبدأ يقلب فى الجرائد .

قرأ خبرا عن أغتيال مجندة اسرائيلية فى خان يونس بقطاع غزة بيد فتاة عربية تحمل سكينا ، وفرت هاربة . انتشى بالخبر ، وانتابه احساس بأن هذه الفتاة هى نهلة زوجة وليد ، لكن نهلة لم تعد صغيرة ، تفصله عن السن التى عرفها فيه أثنا عشرة سنة على الأقل . الخبر الثانى الذى أسعده كان اطلاق النار فى قبرص على عربة الملحق العسكرى للسفارة الإسرائيلية ، هل تنظيم ثورة مصر هو المسؤول ؟

لقد ألقى القبض على التنظيم فى مصر ، ربما امتداد له ، لماذا تخطر على ذهنه ثورة مصر ؟ لكن الخبر الذى أثاره هو القبض على شخص يعتقد أنه الذى اغتال نور الدين الأيوبى فى بروكسل .

سرح خياله ، لو يسلمونه هذا الشخص لعرف كيف ينتزع الحقيقة منه قبل أن يبعثه إلى جهنم التى يستحقها . تقول الصحيفة إنه قد يكون من جبهة النضال أو من الموساد . ليس مهما ممن يكون ، المهم أنه قاتل نور الدين ولا بد أن يطوله القصاص .

رمى بالجرائد أمامه ، وضحك بصوت عال ، حتى أن العامل التفت اليه متسائلا ، لكنه رد على نظراته بمعاودة الضحك .

لو كانت المجندة التى انتشى لمقتلها حبيبته ، كيف سيكون شعوره آنذاك ؟ أو أن الملحق العسكرى الذى قتل فى قبرص صديقه .. أيكون سعيدا بقتله ؟ المقارنة ظالمة ، نور الدين لم يحتل بلد أحد ، ولم يضطهد أو يظلم أحدا ، العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم . إنه مجنون ، يجلس هنا فى كافتيريا استراحة على الطريق الزراعى ، يوزع الأحكام يمينا وشمالا ، يسب ويلعن يغضب ويرضى يثور ويهدأ ، ولا أكثر من ذلك ، يعيش الحياة دون أن يكون له دور فيها ، والأدهى أنه يتلقى اللطمات واحدة إثر الأخرى دون أن يستطيع الرد عليها إلا فى خياله . أيركن ساكنا فى غرفة منعزلة ، يقرأ الكتب ، ويلغى حركته ، ودنياه فى انتظار كلمة ، ممن ظن أنهم مساعدوه على تجديد دمه . ربما يستطيع الآخرون الحياة بدماء فاسدة ، لكنه لا يستطيع .

قام من مكانه واتجه ببطء إلى بيته المنعزل ، وقف أمام المرآة يحلق ذقنه . جرح نفسه ، نقطة دم ، تذوقها ، ليست فاسدة ، مسح وجهه

بقليل من الكولونيا ، أمامه مهمتان اليوم لا بد منهما . مقابلة شيخ الجماعة ، ومقابلة المحامى .

جرى إلى الاستراحة ، وكأن هناك دبابيس تشك كل جسمه ، كان محمد المسؤول عن الأستراحة قد استيقظ ، ويغسل وجهه استعداداً لبدء يومه .

اندفع نحوه قائلا : اسمع يا محمد .. أريد مقابلة الشيخ الآن ، وإلا سأحمل حقيبتى وأرحل .

تطلع اليه فى دهشة وتساءل : ولم العجلة ؟ أينقصك شئ ؟

قال بعصبية : ينقصنى كل شئ .. إما الآن أو أرحل .

قال محمد بود : تعال نجلس لنتفاهم ..

– لا تفاهم .. ماذا قلت ؟

– ألن تشرح لى الأمر ... ؟

– لن أشرح شيئا . اتصل وحدد موعدا الآن .. وإلا كل منا فى طريق . اتجه محمد إلى التليفون وقد تحولت الدهشة المرتسمة على وجهه إلى خوف أو استنكار ، لم يكن حمدان فى حالته الطبيعية ، تحدث بصوت منخفض لم يسمعه ، كلمات قليلة ، ثم وضع السماعة ، وقال محاولا رسم ابتسامة على شفتيه :

– سيكون فى انتظارك فى العاشرة من مساء اليوم .

قال بحزم : استأذن الآن ، لأن لدى موعدا مع المحامى ، سأعود فى المساء .

* **

(١٢)

أشار إلى عربة لورى كانت على وشك الانطلاق ، توقف السائق وانتظر شاخصا له .

سأله : هل أنت متجه إلى القاهرة ؟

هز السائق رأسه بالايجاب .

- أيمكنى أن أسافر معك ؟

فتح السائق الباب ، فصعد بسرعة ، وانطلقت العربة .

هناك سوء فهم من جانبهم ، ربما ظنوا أنه فى حاجة إلى مساعدة مالية ، شخص غريب ، كان نزيلا فى مستشفى للمجانين ، يحتاج إلى مكان للاقامة ، وبضعة قروش يسير بها حياته ، ربما هذا ما ظنوه حين أوصاهم عليه الشيخ عبد الستار .

تناول السائق علبة سجائر ، وقدم له سيجارة قائلا :

- أتريد بعض القهوة ؟

ابتسم . أشار السائق إلى مكان خلفه ، وهو يقول : تريموس .. يمكنك أن تصب لك قليلا فى غطائه .

صب بعض القهوة ، وارتشفها . تمتم السائق : إعطنى قليلا لو سمحت . ، شعر بالحرج لصمته ، أراد أن يتحدث مجاملة للرجل .

قال : عملكم متعب ..

- نصف عمرنا نقضيه ، ونحن نجرى على عجلات ..

- هل السيارة ملكك .

ضحك السائق : أتظن أن بإمكانى الحصول على سيارة كهذه .. خليها على الله .

أشعل السائق سيجارة وسأله مبتسما :

- هل تعمل فى الاستراحة أم أنها ملكك ؟

- أعمل هناك ..

- ونسكن فى مصر ..

- عائلتى هناك .. أعود إليها كل شهر يومين أو ثلاثة ،

والتزم الصمت . تظاهر بأنه ينام ، لا يريد أن يأخذ ويعطى فى الحديث ، وفهم السائق رغبته ، فوضع شريط كاسيت فى مسجلة العربة لينطلق منه القرآن بصوت الشيخ محمد صديق المنشاوى .

***

(١٤)

عند مشارف المدينة نزل . استقل سيارة أجرة إلى العتبة ، اشترى بعض الفاكهة من شارع محمد على ، وثلاث لعب إلى زياد وأخوته ، واتجه إلى شقته فى باب الشعرية ، اليوم الأحد ، وسعاد فى اجازتها الأسبوعية ، وكما توقع ، بمجرد أن وضع المفتاح فى ثقب الباب وأداره، حتى فتح باب الشقة المقابلة وظهر وجه سعاد مبتسما .

قالت : الحمد لله على السلامة .

سلم عليها ، وعلى زوجها الجالس فى كرسيه يقرأ تفسير ابن كثير، وعلى الأولاد . عانق " زياد" سعيدا وأنبه لعدم ذهابه إلى المدرسة ، فرح الأولاد باللعب قالت سعاد : " مش لازم تتعب نفسك " .

دخل شقته وهو يقول : لا تعب ولا حاجة .

قالت : هل أحضر لك الفطور ؟

- لنفطر جميعا معا .. جهزى الأكل عندكم .

قالت : الأولاد أكلوا ..

- ليأكلوا ثانية .

جلس وسطهم يتناول فطوره ، كان الأولاد سعداء به وملامح الرجل لا تفصح عن شئ ، كان يأكل ببطء ، كمن يريد الحديث ولا يعرف من أين يبدأ .

قالت سعاد : هل أنهيت مشاغلك .. ؟

قال : وهل تنتهي المشاغل ! احتجت بعض الأوراق فجئت لآخذها ، ساسافر بعد قليل ، اعتنى بالشقة ، وادفعوا أجرتها ، وسأظل على اتصال بكم .. ألم يسأل عني أحد ؟

قالت : صاحب الشقة جاء " كالمسروع " يريد فتحها .. وقفت له وعمك سعيد وعينيك ما تشوف إلا النور ..

ابتسم الرجل وقال بحماسة : قلت له ليس لك شئ عندنا إلا الأجرة.. تأخذها على الجزمة .. ورفعت عليه عصاتي الغليظة هذه .. فاختطف الأجرة من يدى وألقى بالايصال وفر .. " ناس تخاف ولا تختشيش " .

- بارك الله فك يا عم سعيد .. أنا معتمد على الله وعليكم .

***

جلس في شقته برهة ، حمل كتابا معه ، وقبل أن يخرج كانت سعاد تدق على الباب ، قالت حين رأته خارجا :

- " مش تخليك شوية " .

- لا بد أن أمشى .. لقد تأخرت .

أقفلت الباب " الموارب "، واقتربت منه ، نظرت في عينيه ، وهمت بالكلام لكنها لم تنطق . كاد أن يسألها اذا كانت في حاجة إلى شئ ما، لكنه فهم . ابتسم ، أمسك بها من كتفيها وقبلها قبلة سريعة وربت على ظهرها ، وخرج وتركها في الشقة ، سلم على الرجل والأولاد ومضى .

***

(١٥)

حين اتصل بالمحامي ، اتفقا على اللقاء في الساعة الواحدة في شقة خيرت ، ولما وصل الشقة ، لم يكن المحامي قد عاد .

أدخلته الخادمة إلى غرفة الأستقبال قائلة : سيدى اتصل وقال إنه سيحضر فور الأنتهاء من عمله - فلا تقلق .

أعدت له القهوة ، ووقفت أمامه متسائلة :

- أتريد شيئا آخر .. يا سيدى .

رفع بصره عن الجريدة التي كان يتصفحها ونظر اليها ، وكأنه يراها لأول مرة . كانت تلبس ثوبا يبدو أنه ثوب العمل . فهو ممزق عند الكتفين ويصل إلى ركبتيها . إنها تقوم بتنظيف البيت ، لكنها تعلم أنه قادم ، هل تعمدت أن تظهر له بهذا الشكل ؟ المصيبة أن الصغيرات هن اللواتي يشغلن تفكيره ، يفتحن شهيته ، واليوم منذ بدايته وعوامل الاغراء تلقى أمامه . استغفر ربه في سره ، وعادت عيناه إلى الجريدة ، وهو يقول : شكرا .

لكنه ما عاد يستطيع القراءة ، استولت الفتاة على ذهنه تماما ، إنها بقربه ، في الغرفة المجاورة ، يسمعها تدندن بأغنية ، لو يأخذها بين يديه ، ويجلسها على ركبتيه ، ويداعب جسدها كله ، خطوة خاطئة قد تسبب له فضيحة ، كيف سيكون موقفه أمام المحامي !

شكل ساقيها ، وكتفيها ، الثديان النافران تحت الثوب الخفيف الممزق ، كل ذلك يرتسم على صفحة الجريدة أمام عينيه . ألقي

بالصحيفة من يده وركز بصره على الحائط المواجه ساهما . دعا الله أن يحضر المحامي الآن ، ففي حالات هياجه الجنسي يتصرف كالمجانين ، لا يفكر فيم يقوم به أو العواقب التي قد تترتب على ذلك ، المجانين ! إن في ذلك مخرجا له . تتحرك في الصالة أمامه ، كأنها تتعمد إثارته . أدرك أنه لم يعد يسيطر على أعصابه . ماذا يفعل المحامي بفتاة كهذه في شقته؟ إنه رجل كبير ، ربما قارب الستين ، وهذه الشقة مجرد استراحة له ، ليست بيته الحقيقي ، أيستعيد بعض شبابه بين حين وآخر ، مع هذه الفتاة اللعوب ؟ تمنى أن يكون الأمر كذلك ، بل هو كذلك ، فزوجة المحامي ربما في مثل سنه ، وتراوده نفسه أن يستمتع بأنثى تبعث فيه الحياة ، فهل هناك أفضل من فتاة تحت العشرين لهذه المهمة ؟ شقة سرية في وسط البلد ، وقريبة من مكتبه ، ربما ملكه ، يقضي فيها ساعتين أو ثلاث بعد الظهر ، ليعاود عمله بنشاط ، ويعود إلى بيته في المساء ، وكأنه كان طوال اليوم مشغولا بالعمل ، فتاة صغيرة تعينه على تحمل مشاق الحياة في هذه السن ، رجل واقعي وعملي ، وحتى اذا كانت الفتاة شبقة ، فلن يهمه هذا في قليل أو كثير ، ما دامت تقوم بما تقوم به سرا ودون أن تضيره ، إلا اذا كان يحبها ، وهو أمر مستبعد لأنه لن يدعها لتكون خادمة آنذاك .

إنه يبرر لنفسه ما يعتزم القيام به ، فقد يكون الأمر غير ذلك تماما .

دخلت إلى الغرفة لترفع الصينية دون أن تنظر اليه .

سألها : ما اسمك يا شاطرة ؟

تطلعت اليه ، وابتسمت قائلة : سوسن .

فى ابتسامتها دعوة واضحة ، يخاف أن يقدم ، همت بالخروج من الغرفة ،

قال : أين دورة المياه لو سمحت .؟

أشارت له بيدها ، عبر الباب المفتوح قائلة : على الشمال .

وقف فى دورة المياة يتبول دون أن يقفل الباب ، كانت قد مرت بدورة المياه ، متجهة إلى المطبخ ، وكان مثارا بدرجة كبيرة ، ظل واقفا على فتحة الباب دون أن يقفل بنطاله ، ماذا تفعل فى المطبخ ، لماذا لا تخرج الآن ؟

أينادى عليها ؟ ربما تصرخ أو تشتمه . ليترك الأمر للحظ .

مرت بالباب دون أن تلتفت أو تلحظه ، لكنها حين عادت إلى المطبخ، نظرت نحو الباب المفتوح ، وتسمرت أمامه وقالت كلمه واحدة : " يالهوى " .

وقفت لحظات تحملق به محمرة الوجه دون حركة ، أقفل بنطاله ، وعاد إلى غرفة الأستقبال ، لقد جبن أن يتقدم ، وما كان لها أن تتقدم ، لماذا الدهشة على وجهها ، إما أنها عاهرة أو ساذجة .

كانت تدور فى الشقة وعيناها ترمقه بين حين وآخر ، ما زالت الدهشة تستولى عليها ، فحركاتها مضطربة ، ونظراتها زائغة . هل تقول للمحامى أم تحتفظ بهذا الموقف فى سرها ، سيكون سرهما الصغير حتى تحين اللحظة المناسبة .

***

(١٦)

سلم عليه المحامي بحرارة ثاثلا : ثوان وأكون معك .

غاب قليلا ، وعاد مرتديا جلابيته البيضاء وطاقيته ، تربع على الكنبة أمامه وقال بألفة : الدينا حلوة يا أخي .. لكن الناس هم أولاد الكلب .

اضطرب قليلا ، إلام يرمي المحامي؟هل أخبرته؟ قال بصوت واجف:

- خير ان شاء الله .

- أولا أنت رجل طيب وربنا يحبك .. ولذلك ستعود نقودك اليك .

- كيف ؟ إحك بالتفصيل أرجوك ..

تثاءب المحامي ، وقال منبسط الاسارير : توصلت إلي الرجل الذى سحب المبلغ باسمك .. وعقدت معه أتفاق .. حين تعود نقودك اليك ، تعطيه ٥٪

ضحك حمدان بسخرية : أنت تعرف أنه نصاب .. وعقوبته السجن.. أتريد مكافأته على ذلك .. أنا لم أفقد نقودى فى الشارع .. كنت أضعها فى بتك ..

قال المحامي بتؤدة : أنت عايز العنب ولا تخانق الناطور .. أليس هذا مثلا عندكم ؟

ابتسم : أريد العنب .. بعد ذلك اذا استطعت مخانقة الناطور . فلا مانع .. قال المحامي بجدية : أعتقد أنهم يبحثون عنك الآن ..

قال : المباحث ! اطمئن .. لن يجدونى .

قال المحامى : اعداؤك كثيرون .. لا أعرف ماذا بينك وبينهم .. ولكنى عرفت التفاصيل من رجلنا صاحب الخمسة فى المائة ..

- وماذا يعمل صاحبنا هذا ؟

- مخبر .. تخيل - له فى المهنة أكثر من ثلاثين سنة .. أفهمه رئيسه أنك مجنون .. وأنك تحتاج إلى علاج ، وأن النقود التى فى البنك لن تتمكن من سحبها بسبب جنونك .. وأن سحبها باسمك سيكون خدمة يؤديها اليك ، وورطه فى الأمر ، وتم سحب المبلغ كله وتسليمه للضابط المسؤول ..

سأل حمدان بدهشة : وكيف اعترف لك بذلك .. ؟

- الرجل ترك الخدمة .. وأفهمته أن من يرتكب فعلا تنفيذا لأمر من رئيسه وجبت عليه إطاعة الأمر لواعتقد أن فيه المصلحة .. وأفهمته أنى يمكن أن أضمن له البراءة لو اعترف فى المحكمة .. وستقع المسؤولية كلها على رئيسه ..

- وهل هذا الكلام صحيح قانونا ؟

- صحيح تماما .. الرجل لا ذنب له .. ينفذ أمرا صدر له ، وهو يعتقد بأن فيه مصلحة لك..ثم انه لم يستفد بالمبلغ بشئ .سلمه كله إلى رئيسه.

قال حمدان : افرض أن رئيسه أنكر ..

- اسمعني .. نحن لن نرفع قضية ولن يصل الأمر إلى المحكمة .. نرسل إلى الضابط تفاصيل ما عرفناه .. ونفهمه أن الموضوع سينتهى لو قام يرد النقود اليك . . ويا دار ما دخلك شر .

- وهل فعلت ذلك أم أنك ستفعله .. ؟

- فعلت . أرسلت خطابا بعلم الوصول باسم الضابط وضحت له فيه كل شئ .. وأعطيته مهلة لمدة اسبوع ، كى يفكر قبل أن نبدأ فى الإجراءات . واتفقت مع المخبر أن يختفى ، ولا يظهر فى الاماكن التى يمكن العثور عليه فيها .. ولذلك هو يستحق نسبة الخمسة فى المئة .. وبدورك الآن أن تختفى أيضا .ودعنى ألعب لعبتى ..

- افرض أن الضابط ليس لديه هذا المبلغ ..

- هذه مسؤوليته - أؤكد لك أنه سيدبر المبلغ .. المهم ألا يعثر على المخبر أو عليك ..

- كيف تأكدت من ذلك ..

- لأن القضية لها ذيول كثيرة ..

- أنا أحب قطع الذيول .. أخبرنى بكل شئ أرجوك ..

- حين اعتقلت بعد زيارة السادات إلى القدس .. الضابط نفسه سأل مدير المكتب فى المنظمة ماذا يفعل بك .. هل يطلق سراحك أم يواصل سجنك ؟ وأنت تعرف المصالح المتبادلة بينهم جميعا .. قال له مدير المكتب أرسله إلى مستشفى المجانين ، فهو مجنون لا ترجى فائدته .. ومكافأتك مبلغ كبير له فى البنك .. وترتبت العملية بحيث توضع فى مستشفى المجانين ، ويستولون على نقودك .. تصاعد

الغضب داخل حمدان حتى أنه لم يعد يبصر المحامى أمامه ..

قال بصوت مختنق : كيف توصلت إلى معرفة ذلك ؟

ابتسم المحامى وربت على ركبته قائلا : سر المهنة .. لكنى ساطلعك على جزء منه هناك عامل قريب لى يشتغل فى أحد مكاتب المنظمة .. لن أذكر لك اسمه .. أوضح لى الكثير .. وهو يعرفك جيدا ..

- أتبلغ بهم النذالة إلى هذه الدرجة ؟

- وأكثر .. احمدربنا أنهم لم يقتلوك ..المفأجاة أنهم لم يتوقعوا خروجك من المستشفى ..

- اذن أنت تتوقع أن يدفع مكتب المنظمة النقود للضابط كى يعيدها..

- فليدفعها من يدفعها .. وإلا سجنته وفصلته من وظيفته .. وأستطيع أن أفعل ذلك ..

- لكن المسؤول الآن فى مكتب المنظمة ، غير المسؤول اثناء اعتقالى.. ذلك الذى قام بالاتفاق .

- اتفاق جنائى .. الشخص نفسه موجود فى البلاد ، وسيطوله العقاب أيضا .. إلا اذا بادر بمغادرة البلاد .. لكنى أعتقد أنهم سيدبرون الأمر .. وستكون نقودك معك قريبا .. لكن عليك ألا تظهر خلال هذا الأسبوع فى مكان اقامتك ، أو فى أى من مكاتب المنظمة ..

- اطمئن من هذه الناحية .. متى أتصل بك ؟

- فى مثل هذا اليوم ،الأسبوع القادم .

***

(١٧)

نشوة غريبة تسيطر عليه ، ليس لأن نقوده ستعود اليه ، وهو شئ حسن بل لأنه استطاع أخيرا أن يعرف بالضبط لمن يوجه غضبه الآن، قوة العجز التى كبلته آن لها أن تنفجر على رأس من يستحقها . لن يستريح حتى يستريح منهما ، ماذا فعل لهما حتى يعاقباه بهذه الطريقة ؟ سيحسم الليلة أمره مع شيخ الجماعة ، ليسهل له ما اعتزمه، لكن يجب أن يكون حذرا ، وإلا انزلقت قدمه أكثر مما يقدر لها . ضربات قلبه تتسارع وهو يتخيل ما سينزله بهما ، سينصب لهما محاكمة ، يكون هو فيها المحامى والدفاع والقاضى والجلاد ، سيلقى بكل حقد سنوات سجنه على رأسيهما .

سرح مع أفكاره حتى أنه لم يحس بمرور الوقت ، ومسافة الطريق. نزل عند الاستراحة ، وكانت الساعة تقترب من الخامسة مساء.

قال له محمد بوجه باش : اللية فى العاشرة .. لا تنسى .

رد بمرح : أنسى ! هذا ما انتظره طوال شهرين .. هل سيقابلنى هنا ؟

- لا بالطبع . فى المزرعة التى نحضر منها الفاكهة والخضروات .. تستطيع أن تأخذ أى عربة من هنا . فأنت تعرف الطريق ..

- سأنام قليلا .. لولم استيقظ بنفسى .. أيقظنى فى التاسعة ..

***

(١٨)

اقترب من بوابة المزرعة ، صراصير الحقول تعزف ألحانها . تتوقف كلما دبت الخطوات قربها ، ثم تعاود العزف . كاد يقع فى الخندق الموازى للسياج لا أحد ينتظره ، أيجتاز البوابة أم ينادى على أحد ؟ قبل أن يحسم أمره ، نبح كلب ، وجاءه صوت من عمق الظلام : من ؟

قال : معى موعد مع صاحب المزرعة .

– من أنت ؟

– حمدان من الاستراحة .

اتجه ضوء ضعيف انبعث من بطارية ناحيته ، تركز على وجهه هنيهة ، ثم تسحب ليمسحه من رأسه إلى قدميه .

قال الصوت: تقدم .

وتقدم ، متبعا حركة الضوء إلى كوخ صغير يبعد عن البوابة أمتاراً قليلة ، كل مرة كان يجئ فيها إلى هنا لحمل الخضروات والفاكهة ،كان يجد الاقفاص معبأة ومرصوصة أمام باب المزرعة ، يحملونها فى عربة النقل ويمضون ، لم يدخل ، قط ، المزرعة ، فلم يكن هناك داع إلى ذلك ، وكانوا يجيئون ويغادرون ونور النهار يعم المكان .

الرجل يتبعه ، والكلب يزوم ، ضوء شاحب يصدر من مصباح بترولى ينير جوانب الكوخ ، سرير سفرى ، وطاولة ، وكرسيان ،

ومدفأة بترولية لا تعمل ، حصيرة تغطى الأرضية ، وقلة ماء موضوعة فى طبق فى أحد الأركان ، وقفه معلقة بالسقف ، وبعض أدوات زراعية مكومة فى ركن آخر ، منقل تتوهج فيه جمرات يندس وسطها ابريق شاى يتصاعد بخار الماء منه ، وقرب " المنقل " يجلس صبى فى حوالى الخامسة عشرة ، يعد أكواب شاى صغيرة .

جلس الرجل على حافة السرير ، ووضع بندقيته بجانبه ، أقعى الكلب أمامه ، وعيناه تتركزان على الوافد الجديد .

أشار له الرجل بالجلوس ، فجلس على كرسى من القش ، وقدم له الصبى صينية عليها ثلاثة أكواب ، تناول كوبا وضعه على الطاولة أمامه، وناول الصبى كوبا للرجل ، وعاد ليجلس والصينية أمامه . لم يكن وجه الرجل غريبا عليه ، أسمر اللون ، طويل القامة ، ممتلئ الجسم ، ذو لحية مشذبة بعناية ، ربما رآه يوما ما قرب المزرعة عند نقل الخضروات .

قال : حضرت إلى هنا مرات لحمل الفاكهة والخضرات .

قال الرجل باقتضاب : أعرف.

وساد الصمت . بدأ الولد يداعب الكلب ، لكن الكلب لم يحول عينيه عن حمدان ولم يستجب لمداعبته ، ربت الرجل ظهر الكلب ومسح بيده على رأسه ، فالتفت الكلب اليه والتقت عيونهما ، فهدأ الكلب واستراح فى جلسته المتحفزة ، وبدأ يستجيب للمداعبة .

شرب شايه ، وغسل الولد الاكواب ، وزاد الماء قليلا فى الابريق وتطلع إلى الرجل الذى أشار له بإصبعه . اندفع الغلام خارج الكوخ ،

تبعه الكلب مصدرا همهمة خاصة ، ولم ينبس الرجل أو حمدان بكلمة، حتى عاد يتقافز الكلب حوله ليقول لحمدان : "تفضل" . سار بين صفين من الأشجار ، روائح زهور مختلفة تصل إلى أنفه ، تتسلل إلى رئتيه ، تبعث فيه ذكريات كالحلم . تمنى لو جلس إلى جذع شجرة ، أو تمدد تحتها ليروح فى سبات عميق ، يدغدغه النسيم المحمل بالعطر ، وتنشر عليه الأغصان زهورها النضرة .

انسحب الصبى بهدوء ، ومد يده ليسلم على الرجل الذى تقدم ليستقبله مرحبابه بحرارة ، وتقدمه وهو يبسمل ليجلس على حشية من حشايا عديدة ، مدت على بساط يفترش أرضية القاعة . خلع حذاءه ، وجلس قرب الرجل الذى كرر عبارات الترحيب به ، ثم تمعن فى وجه حمدان قليلا ، فتفحصه حمدان بدوره جيداً ، لم يسترح إليه ، كان انطباعا أوليا بلا سبب واضح ، عيناه عميقتان ماكرتان مرواغتان ، كان متوسط القامة ، نحيفا ، لا تليق العباءة التى يلبسها عليه ، لا يتجاوز الثلاثين ، وإن بدأ أكبر ، يحاول أن يتقمص شخصية غير شخصيته الحقيقية ، ربما لا يكون هو مسؤول الجماعة .

وكأن الرجل يقرأ أفكاره ، اذ قال : أنا عبد الكريم - مسؤول الجماعة .. أراد أن يسأل أية جماعة ؟ إلى أين القى به الشيخ عبد الستار ، أو بالأحرى إلى أين القى هو بنفسه ، فالبداية ليست طيبة ، الراحة النفسية مطلوبة فى أى وسط تعمل فيه ، لكنه آثر الصمت .

تناول الرجل علبة سجائر أجنبية ، مد يده لحمدان بسيجارة ، وأشعلها له بولاعة رونسون ، بدت عليه ملامح التفكير وهو يشعل

سيجارته ، أخذ عدة أنفاس منها ، قبل أن يقول : ماذا قال لك الشيخ عبد الستار عن جماعتنا ؟ قال حمدان مستبشرا : في الحقيقة لم يقل شيئا يذكر .. لكنى قرأت معظم الكتب التى لديه ..

عاد الرجل يقول ببطء : نحن نثق في الشيخ وفى أحكامه .. لا نقبل بيننا إلا من نخضعه للاختبار وندخله فى التجربة ، بالنسبة اليك .. نعرف كل شئ عنك .. وستعرف كل شئ عنا بالتدريج .. لكنى هذا لا يمنع أن تكون عضوا منا .

أشار بيده ، فدخل القاعة شابان ، يحمل أحدهما مصحفا ومسدسا ، وضعهما أمام حمدان .

قال الرجل : تقسم على المصحف والمسدس بإطاعة مسؤول الجماعة .. وأن تنفذ أوامره بلا نقاش ، وتكتم السر حتى الموت فى سبيل الجهاد لله والوطن .

كاد حمدان أن يضحك ، تطلع إلى الرجال الثلاثة على التوالى ..

قال : هناك مشكلة صغيرة .

ولم يكمل ، كان الثلاثة منتظرين ، وهو ، لأول مرة منذ سنوات يعاوده إحساس قديم بأن هناك ، فى داخله ، من يحاول ازاحته والحلول مكانه فى توجيه نفسه وسلوكه . حالة دوار بسيطة انتابته ، وشخص آخر يتحدث نيابة عنه ، بذل جهدا للتغلب عليه ، والحفاظ على هدوئه .

قال الرجل : كل المشاكل تهون بعد أن تقسم .. وعلى كل حال ما المشكلة ؟ انتزع الكلمات من داخله : أريد أولا أن غير اسمى ..

ابتسم الرجل : هذا أمر مفروغ منه . اسم جديد ، وبطاقة شخصية أو عائلية جديدة .. كل ما عليك أن تحضر صورة ..

قال بتردد : ثم هناك أمر آخر وهو الأهم .. ذلك الضابط الذى تسبب فى ضياع سنوات من عمرى

قال الرجل . لا تشغل بالك من هذه الناحية

قال بتصميم أريد أن أنتقم منه بنفسى

أشعل الرجل سيجارة ، وأخذ منها أنفاسا متتالية ..

– نحن نختار الزمان والمكان والشخص .. لدينا أهدافنا وأولويات عملنا والالتزام بأوامر الجماعة واجب .

فكر أن يقوم ويغادر القاعة ..

لكنه قال : بداخلى بركان يريد أن ينفجر .. اذا لم أنتقم منه سينفجر البركان ويدمرنى .. لجأت اليكم لتساعدونى .واذا كنتم تعرفون حكايتى .. فأنتم تدصكون ما يعتمل فى صدرى ..

قال الرجلل: أية خطوة خاطئة قد تودى بنا جميعا ..

– لا أحد يريد خطوات خاطئة .. ولذط اتصلت بكم .. على قائمتى ثلاثة لا بـــ منهم . واحتمال الخطأ غير وارد لدى ؟.

نظر الرجل إلى زميليه ، ثم قال مِدان مؤكدا على كلماته :

– تجعلنى أحس أنك جئت الينا لتحقيق اهدافك لا إيمانا بمبدأ الجماعة ..

قال بحزم : لم آت لأقسم على مصحف ومسدس ، وأتلقى الأوامر على كل حال.

ساد صمت ثقيل ، لم يسمع فيه إلا تردد أنفاسهم .

أضاف حمدان : الشيخ عبد الستار قال اذا احتجت إلى مساعدة فاتصل بالجماعة .. وأنا أحتاج مساعدتكم الآن ..

شعر حمدان بأن جو الجلسة قد تغير ، والرجل يحاول أن يخفى توتره ويتمالك أعصابه ، ينفث دخان سيجارته ببطء مفكرا ، لقد دخل عش دبابير بنفسه ، تورط فى أمر قد يكلفه الكثير ، أشار الرجل إلى أحد الشخصين بإصبعه ، فقام حاملا معه المصحف والمسدس ، حمد ذلك فى سره ، انزاح كابوس عن صدره ، كان يخاف أن يزل ويقسم ، هل انتهت الجلسة عند هذا الحد ؟ وماذا بعد ؟ هل يظل يقيم فى الاستراحة ؟ أم يغادرها وينسى أمرهم ؟ ألن يساعدوه ؟

ربت الرجل على ركبته قائلا : أهلا بك بين إخوتك .. سنتناول العشاء معا ثم تقص على قصتك .. أريد أن أسمعها منك .. على فكرة.. هل تستطيع اطلاق النار ؟

قال : تدربت منذ سنوات بعيدة .. ربما نسيت .. لكنى على استعداد الآن لأتعلم ثانية .

– كل شئ فى وقته حلو .. سنرتب لك ذلك .

***

عند مغادرته المزرعة ، قال له الرجل وهو يسلم عليه :

– ستظل فى بيت الاستراحة ، سيقيم معك فى الغرفة الأخرى أحد شبابنا .. يدربك على السلاح .. المسدس والرشاش ... وحتى تتقن ذلك .يكون لنا حديث .

***

(١٩)

تركت المقابلة فى نفسه أثرا سيئا ، عاد إلى الاستراحة وبيته المنعزل وهو يدرك أنه أخطأ ، وجلس على سريره ساهما ، لم يخلع ملابسه .من الممكن أن يركب عربة ويعود إلى شقته ، لكن هل تنتهى الأمور بهذه البساطة ؟ ماذا يمكنهم أن يفعلوا به ؟ أيقتلونه ؟ يريح ويستريح .

طول عمره يلعب وحده ، وكانت أمه تقول : العب وحدك ترجع راضى ... هنا يكمن خطوة ، أول مخالفة لنصيحة أمه ، إنه الآن يلعب مع الآخرين ، وتحكم اللعبة معه أطراف أخرى غيره ، ولا يستطيع أن يختار ما يروقه فقط حتى لو كانت النتيجة فى صالحه ، أو يترك الجمل بما حمل .

سقط رأسه على صدره ، حاول أن يرفعه ، كان يعانده ، بوادر انتكاسة تحط عليه ، تنصب فخاخها ، تشده اليها ، يدرك أنه لو استسلم لها فسيرتكب عملا طائشا يقلب له كل خططه ، وستجره إلى الموت .

أخذ نفسا عميقا ، وأصغى إلى الصوتين المتعاركين داخله ، أحدهما يدعوه للاستسلام والآخر يأمره بالقتل . رغبة فى الموت ورغبة فى الحياة . نداءان يترددان فى صدره بصوت يكاد يصم أذنيه ، وهو يقول فى نفسه : فكر بعقل ، الحلول كثيرة والاختيارات متعددة ، فكر ،

فكر ، لكن الطبول التى تدق فى رأسه لا تمكنه من التحكم فى الرغبات المنبثقة من أعماقه ، رغبات مدمرة ، يعرفها ، مرت به من قبل ، قوية عنيفة كالعاصفة ، إن لم يطعها توجه عنفها المدمر نحوه ، لا ينفع معها عقل ولا تفكير ، يقودها شخص آخر ، ذلك الآخر الذى بداخله ، ويقف هو كالمتفرج يقوم بكل مالا يريد القيام به .

يبدأ الأمر كما هو الآن ، يندفع هذا الآخر برأسه ، يعنفه لأن الرغبة ترهقة ، والشهوة تعذبه ، والحياة تتعبه ، ومطالب الجسد تتحكم به ، فيكره الناس والوحدة على سواء ، الاكل والنوم ، ويصبح كل شئ يزعجه ويضايقه ، وأخيرا يطالبه بالقتل ، بالدم . يقاوم بعنف وصلابة وعناد ، كما يفعل الآن ، يضغط الرأس ليرجعها إلى الأعماق ثانية ، يستطيع التحكم بها ، لكن غدا لن يستطيع ، تبدأ هذه الشخصية بذرة صغيرة ، ثم تنمو وتنمو تحت ناظرية ، يقمعها لكن لا يستطيع قتلها ، حتى يأتى اليوم الذى تفلت فيه من عقالها ، وقد نمت ، وتبدأ فى السيطرة عليه تماما ، فيطيعها كطفل صغير أمام أمه ، وينفذ لها رغبتها ، أن ترتوى بالدم ، آنذاك تنكمش ، وتتضاءل حتى تكاد تتلاشى، وينسى كل شئ عنها ، لتنمو بعد ذلك من جديد ، فى وقت لا يعلمه ، وتتكرر المأساة .

لن يخدع نفسه ويرجع الأمر إلى لقائه معهم ، فمنذ أرسل اليه ضابط المباحث ، وبذرة الآخر بدأت تنمو ، لقد كان فى مستشفى المجانين أكثر راحة .

***

(٢٠)

حاول أن يلهى نفسه بأشياء عديدة ، ويبعد ذهنه عن التفكير بذلك الآخر ، ويتعود على لحظات ثوراته المتقطعة الصغيرة .

اتصل بالمحامى ، فأخبره أن الأمر يسير كما خطط له وأن الضابط طلب مهلة شهر حتى يستطيع تدبير المبلغ ، وكان من رأيه أن نسايره .

اشترى كلبا ألمانيا من نوع الوولف ، وعدة أرانب ، أطلقها مع الدجاجات فى جزء من الحديقة أحاطه بسلك . يعتنى بها ، يطعمها ويسقيها ، ويداعب الكلب ، ويهتم بالزهور ، ويقرأ ، يتهرب من الاصفاء أو الحديث مع ذلك الآخر القابع داخله ، الذى يبسط له الأمور، ويزين له كل ما يراه قبيحا ، يعرف أنه فى أية لحظة ضعف قد يطبق الآخر على عنقه ويسيره لينفذ له كل ما يطلبه منه ، إنه متعطش إلى الدماء ، وهو لا يريد أن يتخبط فى تصرفاته ، عليه أن يكون يقظا حتى لا ينام ، ويترك الآخر مستيقظا يعبث بحياته كما يريد .

جاء شاب فى حوالى العشرين ليقيم معه فى الغرفة الأخرى ، لم يسترح إلى الأمر فى البداية ، وتقبله كالقضاء والقدر ، فأى تصرف خاطئ من الآخرين ، يثير الآخر داخله ويعجل بنموه ، لذا ، فإنه لا يرى أحدا ، أو يتحدث مع أحد إلا فى أضيق الحدود ، بدأ الشاب تدريبه على المسدس ثم الرشاش ، كان يستمع اليه ، وينفذ ما يقوله دون كلام.

وأتقن استخدام السلاح فى فترة قصيرة . وأصبح يصيب الهدف بسهولة ، لكن الشاب لم يغادر . لم يتجاذب معه حديثا بالمعنى المفهوم ، مجرد كلمات عابرة ، وكان ينسحب إلى غرفته ، لو وجد عند الشاب رغبة فى الكلام .

حتى كان يوم ، عاد الفتى مبكرا ، فوجده يلقى بحبات من الذرة إلى الدجاج ، والكلب يزوم حوله ، ويطلق هو هوات لا يعرف معناها ، قال الفتى : أليست الكلاب نجسة ؟

قال دون أن يلتفت اليه : نجسه فعلا .. لكنها مطلوبة للحراسة ، وقد أحل ذلك النبى صلعم .

- لكنك تدلله أكثر مما يجب .. وتدعه يدخل غرفة نومك ، بل ويصعد على سريرك ...

قال بهدوء : إنه كائن حى .. وأنا أريد أن تكون نفسيته سليمة ، فقد أوصانا الرسول بكل كبد رطبة .. ألا تحب الكلاب ؟

- بصراحة أخاف منها .. ثم إن اقتناءها حرام .

- إلا لأسباب .. الحراسة أحدها .

كان الفتى يعمل طوال النهار ، ويعود فى حوالى العاشرة مساء إلا فيما ندر ، يحضر معه طعامه ، يأكل وينام ، وأحيانا ينام دون تناول الطعام ، فيقول حمدان فى نفسه : لعله تناول طعامه فى الخارج ، كان يوم إجازته الجمعة ، فيظل نائماً إلى ما قبل الظهر بقليل ، يستقيظ يأخذ حماما ، ويجلس قليلا قبل أن يخرج مع حمدان لصلاة الجمعة فى

مسجد الاستراحة الصغير بجوار المبنى الرئيسى على الطريق العام ، بعد الصلاة ، يعود حمدان إلى بيته ، ولا يعود الفتى إلا بالليل كعادته ، خطر فى ذهنه فى البداية أنهم أسكنوا الشاب معه ليراقبه ، أو على الأقل ينقل اليهم أقواله وأفعاله ، وربما هذا أحد أسباب نفور حمدان منه ، مع أن الفكرة أعجبته ، وأضفت بعض الإثارة على حياته ، لكن غياب الفتى طوال الوقت جعل الفكرة تنوب فى ذهن حمدان ، فوجئ فى أحد أيام الجمعة ، بعد عودته من الصلاة ، واستلقائه على السرير يقرأ فى كتاب ، أن عاد الفتى مبكرا ، لم يذهب إلى غرفته ، بل جاء وطرق باب غرفته .

قال له حمدان : ادخل ، تعال اجلس .

جلس الفتى على الحصيرة التى بسطت على أرضية الغرفة ، وهو ينظر قلقا إلى الكلب الرابض ، مغمض العينين فى زاوية الغرفة .

ابتسم الفتى وسأل : ألا تمل من القراءة ؟

رد عليه بسؤال : وأنت .. لماذا لا تحاول القراءة ؟

- أمل بسرعة .. أحب أن أسمع .. فالسماع أفضل .

قال بسخرية : لم يتثقف أحد من سماع ..

فسأله الفتى : ولماذا تريد أن تصبح مثقفا ؟

أدار حمدان السؤال فى ذهنه عدة مرات ، حقا .. لماذا يريد أن يصبح مثقفا ؟ لم يخطر بباله مثل هذا السؤال .. بل ربما لم يخطر ببال أحد ممن يقرأون ...

قال : لا تطرح المسألة بهذا الشكل .. هناك الكثير من الأشياء التى لا نعرفها .. القراءة إحدى الوسائل التى تعرفنا بها . ولا تنسى أن أول كلمة نزلت على سيدنا محمد صلعم هى اقرأ .. فالله سبحانه يدعونا إلى القراءة .. وعلى المؤمن أن يستجيب .. حتى يعرف أكثر ..

– لكن معظم هذه الكتب ليست فى الدين ..

– المعرفة شاملة وعامة .. لكنها فى النهاية تصب فى اتجاه الدين .. ألم يحثنا القرآن على السير فى الأرض ، والنظر كيف بدأ الخلق .. أو النظر فى أنفسنا أو فى الحيوان أو النبات .. وما إلى ذلك . أية قراءة مهما تظن أنها بعيدة عن الدين .. هى فى صلب الدين ذاته .

– لكن الشيخ " جميل " يقول .. إن القراءة فى غير كتب الدين مضيعة للوقت .. بل إن هناك كتبا فى الدين .. قد تؤدى إلى الضلال ..

– من هو الشيخ جميل ؟

– الامام الذى كان يصلى بنا فى المسجد ، ويعقد لنا حلقة درس بعد الصلاة ..

سأله حمدان مغيرا اتجاه الحديث : هل ذهبت إلى المدرسة ؟

– طبعا وأنهيت دبلوم صنايع منذ عامين .

– وماذا كان تخصصك ؟

– خراطة .

– ولماذا لا تعمل فى تخصصك ؟

ضحك الفتى : لكنى أعمل فى تخصصى .

- أتعمل خراطا ؟

- أيوه .

إن الفتى يقيم معه منذ حوالي شهر ، ولا يعرف عنه شيئا .

قال : أتعرف يا صلاح .. أنا خريج مدرسة الصنايع أيضا .. لكنى لم أعمل فى تخصصى قط .

- وماذا كان تخصصك ؟

- ميكانيكا سيارات .

- أتعرف كيف تصلح سيارة وتقودها ؟

- طبعا أعرف ..

- ولماذا لم تعمل فى مهنتك ؟

تنهد وقال : ظروف .. ولكن وأنت فى هذه السن .. لماذا لا تقيم مع أسرتك ؟ قال الفتى ببساطة : تر كتها

قال حمدان لو أن لى أسرة .. ما تركتها أبدا ..

قال الفتى مبتهجا : ستكون لى أسرة .. سأتزوج عن قريب

- كم عمرك .. ؟

- فى الخامس من الشهر القادم أبلغ الحادية والعشرين . .

- وتريد أن تتزوج فى هذه السن المبكرة ؟

- لو أتيحت لى الفرصة لتزوجت منذ ثلاث سنوات .

- لكن .. لماذا تركت أسرتك ؟

- أسباب كثيرة يا أستاذ .. أولها زحمة البيت .. نحن ثمانية .. أربعة ذكور وأربع بنات .. والبيت لا يسعنا .. ثم ..

صمت الفتى ، وشوح بيده .

حثه بنظراته أن يكمل .

قال بتردد : خلافات عائلية ..

قال حمدان : لا تخلو أسرة من خلافات ..

رد الولد بحسرة : ليس كأسرتنا .. إنى أحسد بعض الأولاد على آبائهم .. تخيل .. يصر أبى على أن أذهب واشترى له الحشيش .. وإذا امتنعت يضربني .. لا تحس أن قلبه على أولاده أو أسرته .. لا يصلى ولا يصوم ..

قال حمدان مبتسما : وربما اكتشتفت أنه يعرف امرأة غير أمك ..

صاح الفتى بدهشة : هل تعرف أبى ؟

ضحك حمدان : أعرف خالى الحاج عبد الوهاب .. يبدو أن كل الرجال سواء ..

قال الفتى بحدة : خطأ .. ليس كل الرجال سواء . فأنت وانا والشيخ جميل والالاف مختلفون .. هنلك من أنار الله قلوبهم .. وهناك الكافرون ..

قال حمدان : هذه حال الدنيا .ربما من ثراهم مختلفين .. يكونون اسوأ .. لكنه " قصر ديل عندهم" .. ردد الفتى الجميلة الأخيرة عدة مرات .. وقال :

- لا بد أذن أن تكون ذيول كل الناس قصيرة ..

قال حمدان بسخرية : ولكى تقصرها تنتمى إلي جماعة اسلامية كالتى تنتمى اليها .. لتقوم بالمهمة ..

فوجئ حمدان بالفتى يقول مستنكرا : وهل تظنني أنتمى إلى احدى تلك الجماعات !

بهت حمدان تماما ، كل ظنه أن الفتى عضو فى جماعة اسلامية ، يتحدث معه وفى خلفية ذهنه هذه الحقيقة ، هل يكذب الفتى عليه ؟ .. إن حدته فى الرد تنفى ذلك . ودارت فى رأســه الظنون . من هؤلاء الذين اتصل بهم ؟ إنه يتخبط كالجمل الهائج لا يعرف موقع أقدامه ،

سأل الفتى :هل تعمل فى مكان قريب . ؟

- قريب جدا .

قال كاذبا : رأيتك عدة مرات فى المزرعة .

هز الفتى رأسه موافقا .

- تعمل فى الخراطة في المزرعة !

هز الفتى رأسه ثانية ..

- وما الذى تخرطون هناك .. ؟

أشـار الفتى إلى المسدس الموضـوع على الطاولة قرب السرير . قال حمدان دهشا : تصنعون المسدسات !

قال الفتى : نشترى المواسير التى تباع كعادم من هيئة التصنيع والمصانع الحربيـة - نخـرطها مـواسـيـر للمسدسات والبنادق نصف الآلية.. ونحول مسدسات الصوت الالمانية إلى مسدسات حقيقية ..

صمت حمدان مفكرا ، أعجب بالفتى للحظات ، الشباب أقل مكرا وأكثر صراحة ، وأبعد عن المرواغة من الكبار ، فالفتى قد قال كل شئ ببساطة دون التفكير فى عواقب كلامه ، ربما ضللوه ، أو خدعوه ، من السهل حدوث ذلك ، ثم اذا اعتنق الشباب فكرة ، فليس من السهل أن يحيدوا عنها بل ويسارعوا إلى تنفيذها اذا اتيحت لهم الفرصة دون التفكير فى الاحتمالات ، ربما لم يتعد هو نفسه هذه المرحلة لأن فيه الكثير من هذه الصفات ، ما يدور فى ذهنه يود لو ينفذه بحذافيره وفى أسرع وقت ممكن ، ربما علمته سنوات المستشفى بعض الصبر ، لكنه يحس بأنه يعود إلى طبيعته الأولى بسرعة ، ولذا يشعر بالخوف ، لأنه يعمل مع آخرين لا يعرفهم جيدا ، وبالتالى بات يفكر فى العواقب كثيرا، أو انه كبر السن ؟

قال للفتى : أتعرف الهدف الذى من أجله تفعل ما تفعل ؟

رد الفتى بثقة : بالطبع .. محاربة اليهود الصهاينة ..

دهش ، وقال بسرعة : فقط ؟

أجاب الفتى : هذا هو الجهاد الأكبر والأول ..

قال : كنت أظن أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ..

رد الفتى : لن تكون لى نفس أجاهدها .. ما دام اليهود يتحكمون فينا . شعر بالغيظ من نفسه وتضايق أن وضع الفتى يده ، وليس هو ، على لب القضية .

قال : والمفسدون فى الأرض منا .. ألا يحل لنا دمهم .. كل من عذب انسانا ، أو أخاف أحدا من البشر أو أكرهه على فعل شئ يبغضه وخنق حريته .. أنترك كل هؤلاء ؟ .

قال الفتى : سيأتى دورهم .. لكنك سألتنى عن الهدف الذى أعمل من أجله ..

قال وهو يضع الكتاب من يده ، ويتمدد على السرير ، منهيا الحديث:

- معك حق .

فهم الولد الإشارة . فنهض مستأذنا ، ومضى إلى غرفته .

***

(٢١)

استيقظ من نومه مرعوبا ، شهق عدة مرات قبل أن يسترد أنفاسه وشرب كوب من الماء واستعاذ بالله من الشيطان . رأى نفسه في الحلم يقتل هذا الفتى الذى يقيم معه . الفتى لم يفعل ما يستحق عليه القتل فلماذا الحلم إذن ؟ وعلى الفور فكر في الآخر تلك النشوة التى تنتابه اثناء القتل هى الدافع لهذه الفكرة ، نشوة غريبة . أقوى من لذة الجنس أو الخمر أو المخدر ، وتكون أكبر وأعظم حين يكون الهدف مستحقا للقتل ، يتحرق شوقاً إلى تلك اللحظة التى يقع فيها الضابط تحت يده ، أو قاتل نور الدين أو المحرض على سرقة نقوده ، لكن إذا طال الأمر ، فإنه يعرف الوحش الكامن داخله ، قد يقتل أى أحد يصادفه ارتكب خطأ ما ، قد يقتل راكب دراجة نارية تصدر صوتا يقشعر منه جسده ويكاد يبعث فيه الجنون أو سائق سيارة ينبعث منها دخان كثيف يلوث الجو ، أو امرأة تلقى بالقمامة فى لفة من الورق من شرفتها غير آبهة بأحد من المارة أو بنظافة الشارع ، أو موظفة تأكل على مكتبها . أو تشتغل بالابرة ، مهملة مصالح الآخرين ، أوولد يفرقع البمب فى الشارع على رؤوس أو تحت أقدام المارة ، ويقهقه ضاحكا ، أو حتى أحد أولئك الذين يلعبون الكرة فى الأزقة ، دون أن ينبههم أهلهم إلى ما يسببونه من ازعاج ، أى خطأ بسيط قد يدفعه إلى القتل . حتى لو أطال الولد المقيم معه مكوثه فى الحمام . أو طرقع أصابعه . أو نظر يغيظ إلى الكلب ، كل تلك أفكار دافعة للقتل مرت فى دهن الآخر

كاد يقتل الكلب يوما ، لأنه مزق عددا من الجوارب وهو يلعب بها، في المرة الأولى ضرب الكلب على أقدامه ، وأشار إلى الجوارب وكرر الضرب ، في المرة الثانية ، خلع حزامه وضربه علقة كادت تزهق روحه، خاصمه الكلب يوما كاملا ، كلما ناداه أدار الكلب وجهه بعيدا ، فقرر أن يحرمه من الأكل ، حين جاء موعد الغداء ، لم يأت اليه الكلب متذللاً يهز ذيله ، بل انتحى في زاوية من البيت تكوم فيها ، أقفل الباب الخارجي حتى لا يتيح له فرصة للخروج ، وظل الكلب على عناده حتى ساعة متأخرة من الليل ، كان مضطجعا على سريره يقرأ ، ودخل الكلب الغرفة فلم يلتفت اليه ، ولم يناده كعادته ، وواصل القراءة ، جلس الكلب في مواجهته شاخصا إليه ببصره ، فلم يعره اهتماما ، رفع الكلب قد مه الأمامية اليمنى وضرب بها حافة السرير بخفة ، مصدرا صوتا فيه من المداعبة الكثير ، ولما لم يلتفت اليه ، وضع الكلب قدميه الأمامتين على السرير ، وأصدر صوتا حزينا متسائلا ، لم يستطع تجاهله أكثر من ذلك ، فقام وقدم له العشاء ، وعادت صداقتهما .

ربما تحامل على الولد بسبب تحامل الولد على الكلب .

كل الأولاد يحبون الكلاب ، فلماذا يكرهها هذا الفتى ؟ علل الأمر بأنها ظروف نفسية ، لكن لو استمر اضطهاد الولد للكلب ، فقد يحدث مالا تحمد عقباه ، وهي فكرة تبعث فيه الرعب ، وإن كان الآخر داخله يرقص لها ، فقرر - نكاية فيه - أن يتخلص من الكلب ، يطلقه في المبنى الرئيسي للاستراحة وبذلك يستعيد علاقته الطيبة مع الفتى ، ويبعد عنه سببا قد يؤدى إلى جريمة .

فى الليل ، وحين يعود صلاح ، لا يجرؤ على الدخول حتى يدق الباب الخارجى ، وينادى على حمدان ليمنع الكلب من النباح وإنشاب مخالبه فى الباب الخشبى ، ومع أن الكلب مستأنس ولا يعض ، إلا أن الولد يخافه ، وبما أنه لا يستطيع طرد الولد فليتخلص من الكلب .

كان الكلب يرقد باسطا ذراعيه على الحصيرة أمامه ، فكر أنه من الممتع أن يحضر أرنبا ليلعب معه الكلب الذى لم يبلغ الشهر الثالث من عمره بعد ، ومع ذلك فإن حجمه بحجم الخروف . سيأنس بالناس فى الاستراحة ويقوم بالحراسة . أحضر الأرنب من الحظيرة ، ووضعه أمام الكلب ، كان يظن أن يتوافق الاثنان معا ، قد تقوم مناوشة بينهما ، لكنهما سيلعبان معا ويتصادقان ، فوجئ بأن الأرنب قد انكمش على نفسه ، وبان الذعر فى عينيه وانتابه خوف شديد ، لم يتوقع ما حدث بعد ذلك ، تقدم الكلب بجرأة ، وحمل الأرنب بين اسنانه ، وخبطه بالأرض مرتين بعنف بدأ الأرنب بعدها يترنح مشرفا على الموت ، سارع بذبحه وسلخه وسلقه ، وتعشى به مع الكلب عشوة الوداع .

فى صباح اليوم التالى ، تركه فى مبنى الاستراحة الرئيسى ، فى الأرض الواسعة ، حيث مكانه الطبيعى .

سر الفتى لذلك ، ودخل عليه غرفته مرحا قائلا : أحسن حاجة عملتها ، أنك تخليت عن الكلب .

قال : من أجل خاطرك فقط .

تعشيا معا ، واتصل بينهما حبل الحديث .

سأله حمدان : ماذا يعمل والدك ؟

رد بثقة - مكوجى .

قال وقد سرحت نظراته بعيدا : أعرف شبابا فى سنك .. كانوا يخجلون من صنعه آبائهم .. ويحاولون أن يتجاهلونها ولا يبوحون بها .. قدر امكانهم .. لكنك .. هل تحبه ؟

- كنت أحبه .. لكن حين تزوج على أمى بدأت أكرهه .. يقضى ثلاثة أيام عندنا ، وبقية الأسبوع عند الجديدة .. امرأة كالجاموسة .. تمشى بطريقة مضحكة .. و" حشرية " لا أعرف كيف رضى أن يتزوجها .. لكن ذلك ليس غريبا عليه .. فهو يحاول ، دوما ، أن يظهر وكأنه له علاقة مع العديد من النسوة ، حديثه معظمه يدور حول الجنس، ويحاول تلبية طلبات أية سيدة اذا احتاجت شيئا .. يتكلم معهن بكلام فاحش ،وكأنه يوحى لمن يسمعه ، بأن له بهن علاقة ، فشار ،مدع ، لا يصلى ولا يصوم ، ويتعاطى الحشيش ، لو كنت مكانى ، ألم تكن تترك له البيت ، بل والحارة التى يقيم فيها .. !

كان حمدان يتوقع أن يقول الفتى : لو كنت مكانى لقتلته ..

قام ليعد الشاى ، فحاول الفتى أن يساعده ، لكنه رفض .

عاد الى الجلوس ، والشاى أمامهما ..

قال الفتى : الغريب أن عمى .. على نقيضه .. فهو مكوجى مثله ، متزوج من واحدة فقط ، وهو شخص خدوم ، يكنس الحارة فى الصباح، لاعنا كل من يلقون القمامة فى الشارع ليلا ، لا يعرف الكذب ولا يدخن الحشيش ، بل علبتين من السجائر كل يوم ، ينزح المياه

المتدفقة من المجارى اذا طفحت ، روحه مرحة ، برغم الحزن الذى يخيم عليه أحيانا ، تهمه العلاقات الإنسانية ، ولا يتشاجر مع أحد ويتدخل لفض كثير من المشاجرات ولا يعيبه سوى زوجته ، فأبى الشرس امرأته طيبة ، وهو الطيب امرأته شرسة ، خبيثة ، لا أستريح اليها ، لاتستعير شيئا وترده ، إلا اذا طلبته منها عدة مرات ، يقولون عنها "إنها أكبر ولية طناش فى الحارة" ، اذا تغاضيت عن حاجتك وطلبتها بعد عدة أيام تقول لك "هذه حاجتنا .. حد الله بيننا وبينك" ، قد تدق عليك الباب فى أى وقت لتستعير رأس بصل أو ثوم ، أو قليلا من الملح.. ، هؤلاء من أعيش معهم ، ونسيت أن أخبرك عن جدى عبد العاطى ، كان فراشا فى مدرسة وأحيل إلى التقاعد بعد بلوغه الخامسة والستين، رجل دنئ وقمئ ، لا يمكنك أن تحبه ، يسيل مخاطه دائماً ، ولذا يقوم بحركة ملازمة له ليشفطه ، رويتر فى نقل الأخبار يزور الناس فى بيوتهم ، ثم يعود بالاخبار لينشرها هنا وهناك ، يعطونه القليل كصدقة ، فهم يعرفون أنه لا يرد ما اقترضه ، لكنه خدوم ، اذا قصدته فى شئ ، ولكل خدمة ثمنها ، حين كان يعمل فى المدرسة ، كان يدعى الصمم اذا ناداه أحد يعرف أن لا فائدة من ورائه ، لكن اذا تأكد أن من يناديه سيعطيه ولو قرشا يلبى النداء على الفور ، وتسألنى لماذا تركت أسرتى ؟ ظل حمدان صامتا ، وسرحت أفكاره فى كل من عرفهم من أسرته وأقاربه .. وشعر بضيق شديد يمسك بتلابيبه ، كأن مصيبة على وشك الحدوث ، وخوف يعتصر قلبه بلاسبب ، قبل أن يدخل المستشفى ، كانت تمر به حالات كهذه ، تبدو له فيها الحياة تافهة لا

قيمة لها ، وأنه من العبث أن يحيا وسط كل أمثال هؤلاء البشر ، ما الهدف والغاية من مثل تلك الحياة ؟ فيكره نفسه ، ويود لو يموت لساعته ، لا يعرف الأسباب التى كانت تدفعه إلى الوقوع فى دوامة مثل هذه الحالة ، ويجاهد بقوة ليخرج منها حتى لا تحدث مصيبة ، والآن يرى الدوامة أمامه ، فاغرة فاها ، تجره وتسحبه إلى أعماقها ، يبدو ذلك وكأنه برغبته ، كمسايرته الكوابيس التى تطبق على أنفاسه فى أحلامه ، لكنه يدرك أن الأمر خارج عن إرادته ، هل حديث الولد هو السبب ؟ لكنه حديث عادى ، انطلق به الفتى الذى كان يستمع طوال عمره القصير إلى الآخرين ، ليبوح لأول شخص أبدى استعداداً للانصات ، معظم من أحاطوا به كانوا من نوع والد وجد هذا الولد ، إن كراهيته لنفسه تدفعه لكراهية الآخرين ، الناس دوما كذلك إلا القلة ،فهل تغير الكون ؟

حين يبدأ فى إشعال سيجارة من سيجارة ، فمعنى ذلك أن حالته وصلت إلى حدود الخطر ، يود أحيانا أن ينتحر ،لكنه لا يجرؤ ، الأسهل أن يقتل ، فى قتل الآخر قتل لنفسه ، هل هو مجنون ؟ ربما .. يستلقى على السرير والولد يجلس على الكرسى وراء المكتب ، كوب من الشاى أمامه ، كتب وأوراق ومروحه ،والسؤال الذى يلح على ذهنه الآن : ماذا يفعل هو هنا ؟ ومن هذا الفتى الذى يجلس أمامه ؟ وهل هذا المستلقى على السرير هو جسده ؟ إنه يعيش ، كائن حى ، لكنه لا يحس ذلك ، وتنتابه الدهشة وهو يبصر جسده يتحرك ، يتنفس ، يأكل ، يشرب ، يتحدث ، ولا يحس ذلك ، إنسان آخر هو هذا المستلقى أمامه ، لو مات

كيف يكون طعم الحياة ؟ هل سيكون الأمر سكونا مطبقا ، لا همس ولا لمس ؟ لا مشاعر ولا أحاسيس مؤلمة أو مفرحة ؟ لا رؤية ولا سمع ؟ ذلك أفضل ، لكن تظل الحياة أكثر غرابة من ذلك السكون الموحش الذى لم يجربه ، ولو جربه فلن يستطيع التعبير عنه ، فحياته هى التى تعطيه الوعى بالأشياء ، لو مات قد لا يعى شيئا ، أو قد يعرف أكثر ؟ لا يدرى.

سأل الفتى فجأة : هل سبق لك أن قتلت أحدا ؟

تطلع اليه الفتى بدهشة وقال : لا .. ولا أظننى أستطيع...

سأل : لماذا تحتفظ بالسلاح اذن ؟

أجاب الفتى : طباخ السم يذوقه ..

قال : السلاح للقتل .. حتى لو كان للدفاع عن النفس ..

رد الفتى : قد لا يحتاج القتل لأكثر من حجر .. أو اليدين .. وأضاف بعد لحظات : ثم إنى لا احتفظ بالسلاح فى متناول يدى ..

– وأين تحتفظ به ؟

– لا أضعه على المكتب هنا كما تفعل أنت .. أخبئه فى الغرفة السرية ..

– أية غرفة سرية ؟

– ألا تعرف أن تحت هاتين الغرفتين توجد غرفتان سريتان ..

– هنا .. تحت هذه الغرفة التى نجلس فيها ؟

هز الفتى رأسه بالايجاب .

- أين ؟

- الباب تحت السرير ..

نزل حمدان عن السرير ونظر تحته ، لم ير إلا امتداد الحصيرة ، التى تفترش أرضية الغرفة .

سحب الولد الحصيرة ، وطواها وقال : هناك

لم يميز حمدان شيئا ، لكنى الفتى أمسك بطرف السرير وأزاحه ، وأخرج مطواة " قرن غزال " من جيبه ، فتحها ، ووضع طرفها فيما بدا كأنه بلا طتان ، ورفع بقوة ، فارتفعت قطعة خشب بشكل بلاط الغرفة ، وبمساحة تسع بلاطات لتكشف عن سلم حديدى يقود إلى غرفة سفلية .

نزل حمدان السلم ، يتبعه الفتى ، وجد نفسه فى غرفة أصغر قليلا من غرفته ، ليس فيها شئ سوى كرسى وحبل .

قال: من أخبرك بأمر هذه الغرفة ؟

- لا أحد . عملت فى بنائها .. منذ ثلاث سنوات .

- تحت غرفتك توجد أخرى كهذه .. ؟

- بالطبع .. أضع فيها سلاحى وبعض المهمات .. ألم تكن تدرى بهما ؟

- جميل أنك أخبرتنى .. سيكون لهما فائدة عظيمة .

***

(٢٢)

أدار رأسه موضوع الغرفة السرية ، آه لو استطاع أن يجلب اليها الضابط وذلك الواشي المتعاون معه في مكتب المنظمة ، سيقيم لكل منهما محكمة خاصة ، يكون فيها هو المدعي والقاضي والدفاع ، يحاكمهما على كل ما قاما به في حياتهما ، انتهاكا للانسان وحريته ، كيف يمكن أن يأتي بهما إلى الاستراحة ، دون أن يعلم أحد أو يشك أحد في وجودهما . لا بد من عون من الآخرين ، فالامور قد طابت وقربت نهايتها ، ولو فكر جيدا فسيتم كل شئ كما خطط له . أن يأتي بالضابط إلى الاستراحة أمر غير مستحيل ، لكن من يضمن له أن لا يخبر أحدا بالمكان الذاهب اليه ؟ يستطيع أى فرد أن يخدع الضابط بأية حكاية ، كي يقنعه بالذهاب إلى الاستراحة ، لكن ماذا بعد ؟ حين لا يعود تقوم القيامة ، ويفتشون المكان ويقلبون المعبد على رؤوسهم جميعا ، خطة فاشلة ، التخلص من الضابط ليس صعبا ، من الممكن اطلاق النار عليه في أى مكان ، عند خروجه من منزله أو عودته اليه ، في الشارع وحتى في مكان عمله ، لكن ذلك لن يرضيه ، سيموت بسرعة وفي ذلك راحة له ، ولن يشفي غليله . لم يبق الا الاختطاف ، تخديره ثم اختطافه إلى الاستراحة ، دون أن يشعر أحد ، ولا يمكنه القيام وحده بهذا العمل . قد يساعده صلاح الشاب الذى يقيم معه لو عرض الأمر عليه ، سيطلب منه أن يتعاون معه كخدمة يؤديها اليه دون معرفة مسؤول الجماعة التي ينتمي اليها ، أمر بينهما ، سرهما

الخاص، ولوأنه لا يطمئن إلى سر يعرفه ثلاثة ، لا بد من المخاطرة ،إما أن ينجح فيحقق هدفه ، وإما أن يفشل فيعود إلى السجن أو مستشفى المجانين ، والأمر بالنسبة اليه سواء .

***

اتصل بالمحامى وهو يتوقع أن يؤجل الموضوع ككل مرة ، لكن فى أعماقه كان يتمنى أن يقول له لقد تم الأمر .

رد عليه المحامى قائلا : أين أنت ؟ سيدفع لك الرجل النقود ، لكنه اشترط أن تتسلمها بنفسك ، وتكتب له إيصالا بالاستلام .

قال : هل تضمن أن لا يقوم بلعبة ما ؟

– لا أعتقد .

– لكنى متأكد أنه يتلاعب ،افرض أنه القى القبض على وزج بى السجن ؟

– سأستمر فى القضية آنذاك ..

– وما الفائدة ؟

– لا . أنا محامى وعارف شغلى .. اطمئن من هذه الناحية .. لا يستطيع أن يقبض عليك ، فهو دارس للقانون ويعرف عواقب ذلك .

– أنا لا أقصد أنه يخطط للقبض على .. بالتحديد .. فقد تكون لديه حيل أخرى .. أن أمضى له على الايصال ، ولا يسلمنى النقود مثلا ...

– لا .. لا .. اسمع .تعال لتزورنى غدا فى الساعة الثانية فى شقة خيرت .. نتغذى معاً ، ونتناقش فى الأمر .. ونحدد الموعد بأنفسنا – فالكلام على التليفون لن يجدى .

***

(٢٣)

استيقظ مبكرا فى الصباح قبل مغادرة صلاح إلى عمله انتظره حتى نهض ، وأفطرا معا

قال له : لو طلبت منك خدمة .. هل تؤديها لى ؟

قال الشاب بحماسة " طبعا .. ماذا تظن بى !

– جميل لن أنساه لك .. أحد أولاد الأفاعى أريد اختطافه .. بانت الدهشة على وجه االفتى : اختطاف !

– أيوه .. لماذا دهشت ؟

– لم أكن أظن الأمر يصل إلى هذه الدرجة .

سرح بنظراته فى الفضاء ، وابتسم وهو يقول ·

– أحد ثلاثة أود أن أبعثهم إلى الآخرة بنفسى . هيا بنا – سأحدثك ونحن نسير .. كيف ستذهب إلى المزرعة ؟

– بالسيارة ..

– أجرة أو سيارة خاصة ؟

– السيارة التى تنقل الخضار .

– لكنك لم تعتد الركوب معنا حين نذهب لإحضار الخضار والفواكه كل أحد وخميس ..

– لأنى لا أذهب إلى المزرعة كل أحد وخميس أتوجه شمالا لا جنوبا .

- تعمل فى مكانين ؟

- بالضبط .

- وفى هذين اليومين .. تركب عربة أجرة .. ؟

- لا .. أركب سيارة أقودها بنفسى ..

- لن أسالك ما العمل الذى تقوم به فى هذين اليومين .. لكن هل يمكننا استخدام هذه السيارة اذا احتجنا اليها مثلا .. ؟

- فى عملية الاختطاف ؟

- مثلا؟

- أستطيع تدبير ذلك .. لكن من الذى سنختطفه ؟ متى ؟

- سأقول لك كل شئ فى المساء حين عودتك ..

***

فى الساعة التاسعة ، كان فى ميدان العتبة ، توجه إلى الشارع محمد على ، فاشترى بعض الفاكهة والحلوى ، وعددا من اللعب لاولاد سعاد من محل بشارع الأزهر وتوجه إلى باب الشعرية . الحارة هادئة كعادتها فى مثل هذا الوقت الأولاد فى المدارس ، والرجال فى العمل ، والبعض ما زال نائما .

كان باب شقة سعاد المواجه لباب شقته مفتوحا ، وصوت المذياع على اذاعة القرآن الكريم يعلو واضحا ، وعم سعيد يجلس على كرسيه ذى العجلات فى مواجهة الباب . ألقى عليه تحية الصباح ، وفتح باب

شقته وتركه مفتوحا بعد أن سنده بكرسى . غسل وجهه ، وخلع حذاءه، ولبس شبشباً وذهب إلى شقة الجار ليتحدث معه ، موعده مع المحامى فى شقة خيرت فى الساعة الثانية ، ويرغب فى الذهاب قبل الموعد عله يجد الخادمة وحدها ، فالرغبة تلح عليه اليوم بشدة ، والبنت تبدو سهلة المنال .

انتظر حتى عاد زياد واخوته من المدرسة ، أخذه بالاحضان ، وأعطاه وإخوته الهدايا والفاكهة التى أحضرها لهم ، وسلم على الرجل وأعطاه أجره الشقة لشهرين قادمين ، وقال له :

– سأمر عليكم بين حين وآخر ..أما الآن فاستأذن لأن لدى مشاغلى بلغ تحياتى إلى سعاد ..

وغادرهم إلى شقة خيرت ، كانت الساعة الثانية عشرة ظهرا .

***

وكما توقع ، فتحت له الخادمة الباب ، بملابسها الممزقة ، ويكاد يجزم أنها تمزقها عمدا ، ليبدو عرى كتفها ، وجزء من ساقها وفتحة فى صدرها .. سألها عن المحامى ، قالت بفنج : لم يعد بعد ، يمكنك انتظاره .. فقد أخبرنى أنه سيتناول الغداء معك .

دخل وجلس فى غرفة الجلوس ، كانت الفتاة تقف فى المطبخ تعد الطعام ، بعد لحظات ، نهض من مكانه وتوجه إلى المطبخ ، ووقف ببابه يراقبها وهى تعمل . نظرت اليه بزواية عينها ولم تتكلم ، كانت حافية القدمين ، وجلبابها السمنى الممزق يبدى مفاتن جسدها بطريقة أكثر اثارة مما لو كانت قد خلعته ، وبدأت الشياطين تتلاعب بعقله .

قال : أتحتاجين مساعدة ؟

ردت مبتسمة : ماذا يمكنك أن تعمل ؟ ستفسد ما تفعله - أنا أعرف الرجال .

- ليس كل الرجال

هزت كتفيها ، وقالت : جائز .

كان قد تقدم منها حتى وقف وراءها ، كان مثارا بشدة ، وأحست به أدارت رأسها اليه وقالت : أريد أن أنتهى . لا تربكنى .

لم يرد ، نظر فى عينيها ، لم ير في حياته عينى أنثى فيهما مثل هذه الدعوة الصارخة لأن يتقدم ولابد إن كان فى عينيه النظرة نفسها ، أمسكته من يده كالمنوم ، وقادته إلى الصالة ، وأشارت إلى السجادة المفروشة على الأرض ، وقالت بصوت خافت وهى تبلع ريقها : هنا . تطلع حوله ، وأشار إلى الباب ، قالت: ليس معه مفتاح .. لقد نسيه هنا...

احتضنها بشدة وبدأ يقبلها ، تخلصت منه قائلة :

- هيا لننته قبل أن يحترق الطعام أو يدق جرس الباب .

كانت كلها تشع بالرغبة وتنضح بالدعوة ، كانت فى شوق أكثر منه، وقعا على الأرض ، لم تكن ترتدى شيئا سوى هذا الجلباب السمنى الممزق ، وكانت كأنها تعوم فى بحر من الهيام ، تتلوى بشبق ، وتتنهد بحرقة ، وحين أنتهيا ، ظل مستلقيا قليلا ، نهضت متثاقلة ، سوت جلبابها وعادت إلى المطبخ ، دون أن تنظر اليه .

قام واتجه إلى غرفة الأستقبال ، استلقى على الكنبة مذهولا ، لم يكن يتخيل أن يتم الأمر بهذه البساطة ، الفتاة شبقة ومصابة بالغلمة ، كل عضو فيها دعوة لممارسة الجنس ،اذا أردت فلتنل حتى ترتوى ، دون تعنت أودلال ، كأن فيها حقا لكل رجل ، ما شكل علاقتها بالمحامى الذى قارب الستين ، إنه لا يحكم على الآخرين بتصرفاتهم الجنسية ، ولا تعنيه هذه التصرفات حين يتعامل معهم ، فلماذا يشغله أمر المحامى مع الفتاة الآن ؟ من المؤكد أن له زوجة وأولاد ، يوهمهم بأنه يعمل طوال النهار ليعود إليهم فى الليل بينمايقضى وقت الظهيرة فى هذه الشقة ، مع هذه الفتاة الشبقة ، هل يعرف المحامى برغباتها الحارقة ؟ ولماذا يفتح له بيت غرامياته ، كأنه يقدم له فتاته ؟ لماذا يواعده فى هذه الشقة وليس فى مكتبه ؟ أهى طبيعة قضيته الخاصة ، أم يفعل ذلك مع الآخرين ؟ وهل يدرك أن هناك علاقة قد تقوم بين هذه الفتاة ، والزبائن الذى يواعدهم هنا . أو هو يقصد ذلك حتى يرضى الفتاة ؟ إنه لا يستطيع أن يسد مطالبها الجسدية المتكررة ، فيدعها على حريتها فى شقته هذه ، خاصة وأنه لا تربطه بها صلة سوى أنها خادمته ، على أن تكون له فترة الساعة أو الساعتين اللتين يقضيهما معها فى الشقة . جائز، فالنفس البشرية ما زالت لغزا يستعصى على الحل . أو ربما ليس للمحامى علاقة ما بها ، ولا يدرى عن الأمر شيئا ؟ مرت بذهنه تلك الفتاة التى كانت مصابة بالغلمة ، وكان أولاد الحى يتناوبون عليها فى الليل فى بئر السلم ، تسعة أو عشر أولاد دون أن ترتوى ، وتمضى عائدة إلى منزلها وبراءة الأطفال فى عينيها ، كانت اذا رأت أحد منهم،

تندفع إلى مدخل أية عمارة فى دعوة له كى يلحق بها ، لينتهى الأمر فى دقائق ، وتخرج كأن لا شئ قد حدث ، وكان الله يسترها معها دائما ، ومعهم أيضا ، لقد كانت مدار حديثهم فى خلواتهم وهم يتسامرون ، حتى جاء يوم وانتقلت تلك الفتاة من الحى ، أتكون سوسن نسخة منها، وهل تدعو شباب الحى إلى الشقة فى غياب المحامى ؟

اعتدل فى جلسته ، حين دخلت عليه غرفة الجلوس تحمل كوبا من الليمون ، وضعته على المائدة أمامه ، ونظرت له غامزة بعينيها ، لم يدعها تمضى ، أمسك بيدها ، وشدها اليه ، أجلسها على ركبته وبدأ يقبلها ، كانت مستسلمة كطفل وديع قالت بهمس : أنت طماع ، وانزلقا على الأرض ثانية .

***

جلسا فى الصالون بعد أن تناولا الطعام ، وكان المحامى قد أصر على عدم الحديث حتى يتناولا الغداء . أحضرت لهما الفتاة القهوة ، وقال المحامى :

– شوف يا سيدى .. الرجل سلم بعد مماطلة... وكما قلت لك يريدك أن تمضى على ايصال بتسلم المبلغ .. وهذا حقه .

– وماذا سيكتب فى الإيصال ؟

– هذه لعبتى .. لا تخف ولن يضرك الايصال بشئ ..اطمئن .

– أنا أشك فى هذاالرجل .. بماذا سيفيده هذا الإيصال .. هناك لعبة وراء كل هذا ..

- اسمعنى .. افرض أنه دفع لك النقود ولم يكن معه ايصال منك .. وفكرت أن ترفع عليه قضية كالتى حاولنا القيام بها ..

فكر حـــمـــدان قليـــلا.. ثم قـــال :أنت ترى أذن أن لاخطر من الايصال..

- على الاطلاق .. وسأكون أنا شاهدا عليه ..

- وأين سيسلمنى النقود ؟ .

- هنا .. فى هذه الشـقـة .. بعـد أن كلمـتنى أمس اتـفـقت مـعـه أن يكون ذلك يوم الجمعة القادم بعد الصلاة .. تشرف سيادتك؛ وننهى كل شئ ..

- افـرض أنـى خـرجت من هنـا وأنا أحـمل النقـود .. ثم وجـدت الشرطة فى انتظارى .. وأخذ النقود منى .. ماذا سيكون الموقف ؟

-ممكن .. أنا مش مغسل وضامن جنة - هذه مسؤوليتك ..

- لكن بخبرتك .. هل أنت مستريح لهذا الرجل ؟

- بصـراحـة لا .. ولذا رفـضت كل الأمـاكن التى عـرض أن يسلمنا فيها النقود .. وصممت على شقتى هنا فى شارع خيرت .. لكن خارج الشقة .. فى الشارع لا أضمن ما يمكن أن يفعله .. أو يفكر فى عمله..

- يعنى أنت أيضا تشك فى الرجل كحالتى ..

- مـهنتى علمنتى الحذر ، ويهمنى أن تنهى هـذه القضـية على خير دون أن تترك أية عواقب ..

قال حمدان بعد تفكير : إن تسليمه يبدو سهلا .. وهو ما يبعث على القلق .. أعتقد أنه بمجرد خروجى من عندك أحمل النقود .. سيلقى القبض على .. من رأيى أن نغير المكان .. ولا نخبره به إلا قبل الموعد بفترة قليلة .

- مهما كانت هذه الفترة .. يمكنه أن يرتب الأمر ليلقى القبض عليك اذا كان ذلك فى نيته ..

- وما العمل ؟ ألن يتركنى إلا إذا تركت له النقود .. !

قال المحامى : يمكنك أن تترك النقود معى وتنزل .. أو أنزل معك ،أقلك بعربتى لا وصلك إلى المكان الذى تريدو ..

- اذا كانوا يتربصون بى - فلا فائدة حتى من ذلك ..

- اذن .. ليس لدينا إلا أن نثق به .. ونتصرف بحذر .. لأنهم اذا أرادوا القبض عليك .. فلن يثنيهم أحد عن ذلك ... والمسألة مسألة وقت .. لكننا سنتفاهم معه حول هذه النقطة .. وأهدده بأنك اذا لم تصل سالما إلى بيتك . فسأفضح كل شئ فى الجرائد .ولدى السبل إلى ذلك.. ظل حمدان صامتا وشرب قهوته التى بردت دفعة واحدة ، وهو ساهم .

نهض المحامى قائلا : أين سرحت فى تفكيرك ؟

هز رأسه وقال : موافق ، سأكون عندك هنا يوم الجمعة بعد الصلاة ... وربك يجيب ما فيه الخير .

***

(٢٤)

فكر أن يعود إلى شقته بباب الشعرية ليلتقى بسعاد ، لكنه خاف أن يذهب ، فلعل هناك من يراقبه وراه وهو يحضر صباحا . وأبلغ عنه ، من المحتمل أن يجدهم فى انتظاره أو يحاصروه وهو هناك ، لا بد أن يتصرف بحذر ، ثم إنه وعد " صلاح " بإخباره بكل شئ الليلة ، وتدور فى رأسه خطة يود أن يتدارسها على مهل مع من يكون شريكه فيها

ركب الباص إلى رمسيس ، ومن موقف أحمد حلمى ركب عربة إلى الاستراحة .

***

حين وصل ، قابله محمد فى حديقة الاستراحة قائلا بهمس

- مسؤول الجماعة يريدك الآن ..

- خير أن شاء الله .

- خير . لا تقلق . العربة نصف النقل تنتظرك هناك لتوصلك

انشغلت أفكاره، ما الذى استجد؟ ربما أخبرهم صلاح بما حدثه به فى الصباح ، لقد جاء بوجع الدماغ إلى نفسه، على كل حال لن يصدر حكما، حتى يقابل المسؤول، وظلت أفكاره مشوشة حتى وصل المزرعة.

***

بعد السلام ، دخل المسؤول فى الموضوع مباشرة

سأله: ما حكاية الاختطاف التى حدثت بها "صلاح" اليوم ؟

كما توقع، كانت ثقته فى الولد فى غير محلها ، لم يفاجأ، فمنذ قال له محمد أن المسؤول يطلبك ، خطر بذهنه على الفور أن "صلاح" حدثه بالامر.

قال بهدوء : أنت تعرف أن لى هدفا محددا .وقد أخبرتك به فى أول لقاء لنا ..

- لكن ليس معنى ذلك أن تتصرف بعيدا عنا ..

- بصراحة ليس لدى وقت .. وحين تسنح الفرصة أنتهزها .

- على الأقل أبلغنا .. وإلا لماذا اتصلت بنا فى الأصل ؟

- كنت أنوى إخباركم قبل التنفيذ ،، وأجلت ذلك حتى أتم رسم الخطة ..

- من الافضل أن نعرف من البداية .. حتى لا تحدث أخطاء قد تودى بنا جميعا .. فنحن حريصون عليك .. ولا بد أن يكون حريصا علينا ..

قال باستسلام : معك حق.

- أذن إجلس وحدثنى بكل ما يدور بذهنك بالتفصيل .

***

حين أنتهى من حديثه ، الذى لم يقاطعه خلاله المسؤول ، إلا لاستفسار أو توضيح نقطة غامضة ، وحضره الاثنان اللذان كانا فى اللقاء السابق ، قال المسؤول وقد برقت عيناه : يخيل لى يا حمدان أنك لم تلجأ الينا إلا لتنفيذ أغراضك .

قـال حـمـدان :حـاولت أن أقـول لكم منذ أول لقـاء لنا ، الآن أضـع كل أوراقى أمامكم ولكم أن تحكموا بما تشاءون ..

- ألا تخاف نتائج قولك هذا ؟

حدق حمدان فى المسؤول ، وقال بصراحة : لو قلت أنى لا أخاف اكذب عليكم .. لكنى مستعد لتحمل كل النتائج بما فيها الموت .. لو كنت أستطيع القيام بما انتويته وحدى لفعلت - ثم إنى لن أخدعكم .. أنا رجل مؤمن .. وأرى أن المفسدين فى الأرض لا بد أن ينفوا أو يقتلوا .. وبما أن مقاليد الأمر بأيديهم .. فهم الذين يستطيعون نفينا .. ولم يبق لنا إلا الحل الآخر ..

قال أحد الرجلين الآخرين : من الذى يحكم على انسان بأنه مفسد فى الأرض ؟ أنت ؟ رد بحدة : أعماله .. وليس أنا وأنت .. أو حتى هو.. من أعماله أدينه .. عاد الرجل ليقول : وهل أنت مخول بالحكم على هذه الأعمال حتى تقرر اذا كانت صالحة أو طالحة ؟

ابتسم حمدان ، وتطلع إلى المسؤول قائلاً ما رأيك أنت ؟

لم يتكلم المسؤول ، لكن الرجل الثالث تطوع بالحديث : ماذا تظن بنا ؟ عصابة تكونت لفرض إتاوة على الناس أو الحكم عليهم وادانتهم ؟

قال بعصبية : أنا لم أقل ذلك .. ولا أحاكم الناس وأحكم عليهم بالهوى .. أنا لا أحكم إلا على ما أعرفه .. سجننى وعذبنى واضطهدنى وسرق نقودى وأضاع سنوات من عمرى بالباطل .. والقانون لن يطوله بسبب قوته .. فيستحق أن يجرى عليه ما جرى على .. بحكم العين

بالعين والسن بالسن .. حتى فى ملة الشرائع القديمة .. أنا لا أحكم على الآخرين وأكفرهم بالسماع .. أو لا تيانهم أمورا لا يحكم فيها إلا من خلقهم .

قال المسؤول بهدوء : اذا كنت تقصدنا بكلامك الأخير هذا .. فأنت لم تفهمنا .. نحن لا ندعو إلى قتل الناس بالباطل .. أو الى تكفيرهم والحكم عليهم .. أو قتلهم انتقاما .

قال وهو فى حيرة من أمرهم : من أريد قتله يستحق القتل .. إما أن نسكت ونعيش بذلة ومهانة .. أو نضرب بالطريقة المتوفرة لنا .. صراع بين القوى والضعيف .. لن أسمح للآخر بأن يضربنى وأشكره.. أو أظل صامتا لا أرد عليه ..هل تدلنى على طريقة أخرى أتصرف بها؟

قال المسؤول : دوافعك ذاتية .. ولذا تظل فى نطاقها الضيق .. لا يوافقك عليها أحد .. لأنها ليست نابعة من الايمان الحقيقى بقضية ما..

عادت اليه حدته وهو يقول : ايمان شخص ما .. لا تستطيع أنت أو غيرك أن يحكم عليه ..

- حتى لو كانت أعماله .. التى تحكم أنت بها عليه .. لا تدل على ايمان ؟

قال : هل تستطيع أن تقول لى بأى منطق قتل العبد الصالح الذى رافقه موسى - الصبى الذى كان والداه صالحين ؟

رد أحد الرجلين الآخرين : ذلك الهام من الله أتاه لعبده الصالح ..
قال حمدان : لماذا تنكرون على أن يكون ما أنوى عمله هو الهاما من الله وتنفيذاً لمشيئته ؟

ضحك المسؤول ، وضحك الآخران وساد صمت مشبع بالقلق ، وحمدان ينتظر تفسيرا لضحكهم . قال المسؤول أخيرا :

– اسمع يا حمدان ..منذ البداية وثقت بك واطمأننت اليك بهاجس قلبى لا علاقة له بالعقل .. وهذا خطأ .. وقد قلت ذلك لزميلى .. وما زال هذا الشعور داخلى تجاهك لم يتغير .. وهو ما دفعنى لأن أسكنك الاستراحة .. وقرارى بأن أساعدك .. لكنى عقليا .. أحب أن أقول لك أن حديثك يحمل من التناقض ما يجعل أى عاقل لا يثق فيك .

قال بحدة : هل تعنى أنى مجنون ؟

أشار المسؤول بيده بحزم ، قائلا : أنا لم أعن ذلك .. لقد قررنا مساعدتك . اكرامك للشيخ عبد الستار .. ولما قاسيته فى حياتك .. وأيضا من أجل صديق عزيز لنا . . وأحبك أن تعرف أن جماعتنا لا تسعى لقتل الآخرين من أهل هذا الوطن .. واذا فهمت ذلك فأنت لم تفهمنا ..

قال حمدان ساخرا : أتظننى من رجال المباحث وسأذهب لأشى بكم .. !

– ذهنك ذهب بعيدا .. لكن الذنب ليس ذنبك .. الخطأ من جانبنا منذ البداية .. نحن نعرف كل شئ عنك قبل أن تأتى الينا .. لكنك لا تعرف الكثير عنا .. وليس هذا أوان التفصيل فى هذه النقطة .. اذا أتيحت لنا فرصة فى المستقبل ، وستتاح باذن الله ستفهم أكثر .. المهم الآن .. نلتفت إلى ما يشغلك .. ما خطتك بالنسبة لهذا الضابط ؟

كان حمدان قد فقد الرغبة أو الاهتمام ، لكن كان عليه أن يكمل معهم ما بدأه ...

قال : أنا أعرف أنه يدبر لى شيئا .. وأنا لا أريد أن أقع فى يده ثانية .. لا أريد أن أقع فى الفخ الذى ينصبه لى .. والذى لا أعرف ما هو ؟

- لنفكر بترو .. موعدك معه يوم الجمعة بعد الصلاة فى منزل المحامى بالسيدة زينب .. هل ستذهب إلى هناك ؟

- لا بد أن أذهب كى أخذ نقودى .. والمحامى قد رتب كل شئ .. لكن فى ذهنى ترتيباً آخر يفسد عليه خطته ..اذا كانت لديه خطة لاعتقالى بعد تسلمى النقود .. أفكر بأن أقابله بطريقة ما قبل وصوله إلى شقة المحامى .. أخذ النقود منه .. ثم .. اختطفه .

- تختطفه بعد أن تأخذ النقود قبل أن يصل إلى شقة المحامى .

- هل تعرف عنوان بيته ؟

- يقيم فى شقة فى عمارة كبيرة فى مصر الجديدة .. ويركن عربته أمام العمارة ..

- هل تفكر فى انتظاره عند البيت ؟

- بالفعل . سيفاجأ حين يرانى .. لكنى أعتقد أنه سيصطحبنى معه إلى شقة المحامى ..

-هذا اذا افترضنا أنه سيتوجه من بيته إلى بيت المحامى .. ماذا لو كان فى عمله ؟

- لا أعتقد أنه يحمل النقود معه إلى عمله ..

- وما الذى يمنعه ؟

- حذره .. وعلى كل حال هناك احتمال كبير فيما أقوله .. فلنجرب ذلك .. إلا اذا كانت لديكم خطة أفضل . .

-لنفرض كما تقول .. أنه أخذك معه فى عربته .وبعد ..

- آخذ منه النقود .. وتتم عملية الاختطاف ..

- بهذه البساطة ؟

- ليس ببساطة بالطبع - لا بد أن اهدده بمسدس .. وأوجهه خارج القاهرة .. وفى منطقة نائية يتم الاختطاف .. وهذا يتطلب أن تتبعنا عربة أخرى يكون فيها أحد رجالكم .. ليقوم بتوصيله إلى الاستراحة .. أريده حيا .

ابتسم المسؤول ، وقال :

- وتأمل أن يسير معك بسهولة .. أمام أعين الجميع .. ورجلنا يقوده إلى الاستراحة أمام أعين الحاضرين ..

- لا - طبعا .. أريد أن أخدره أولا .. وتخديره عملية سهلة .. هناك نساء جاهلات يخدرن أربعة أو خمسة رجال فى سيارة أجرة ويستولين على نقودهم . ألن أستطيع وحدى تخديره .. ؟

- وبماذا ستخدره ؟

- هذه هى الخدمة الأخرى التى أريدها منكم .. حقنه مخدرة ..

تتطلع الثلاثة بعضهم إلى بعض .

قال المسؤول : هات ورقة وقلما يا أسامة -لا بد أن ندقق فى التفاصيل .. الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة هو الذى ينجح المهمة أو يفشلها .. ولنتدارس الخطة معا .

***

(٢٥)

عاد حمدان إلى الاستراحة ، تتناوب السيطرة عليه ، مشاعر راحة، ومشاعر قلق ، فرح وحزن ، ضيق وسعادة ، كانت تنتابه تلك المشاعر فى الماضى .لكن ليس بهذا التتابع السريع ، لقد كان مرتبكا وهو يتحدث معهم ، فقد كان يتحدث مع مجهول بالنسبة اليه ، لم يبد عليهم ذلك فى أول لقاء بهم ، واليوم هو فى حيرة من أمره بخصوصهم ، أمل أن يضحك عليهم ويلعب بهم ، ويبدو أنهم ضحكوا عليه ، وسيلعبون به ، إنهم يدركون ما حولهم ، وليس كما تصورهم : جماعة ضالة هدفها القتل والسلب ، إلام يخططون ويسعون ؟ لا يستطيع أن يعرف أو يتنبأ، ثم موافقتهم السهلة السريعة على مساعدته ، برغم تعارض ما يريده مع ما يؤمنون به ، هل يكذبون عليه أو يسخرون منه ؟ أينفذ الخطة كما رسموها ، أم أنهم أوهموه بالموافقة وسيتراجعون فى اللحظة الأخيرة ؟ لم يعد يستطيع أن يحكم بدقة على الموقف ، فليدع إحساسه يقوده كما تعود فى السابق ،. يرى أمامه الضابط مقبوضا عليه ، ومسجونا فى الغرفة السفلية تحت رحمته ، هل هى رؤيا أم رؤية؟ اختلطت الأوهام بالحقائق فلم يعد يستطيع الإمساك بالواقع .

ابتسم لنفسه ، أية أوهام وأية حقائق ؟ الواقع الذى أمامه لا يمنحه أى شئ ، والواقع ظاهرى ، فأين هو الواقع الحقيقى ؟ ما الفرق بين ما يعيشه الآن وبين الواقع المنغرس فيه والحقيقة التى يسعى اليها ؟

يحتاج إلى يومين أو أكثر من الانعزال الكامل عن الآخرين ، والعزلة فى بيته ليتفرغ لنفسه ، ويعاود شحن بطارياته الداخلية ، وشحذ حساسية حدسه الذى يقوده عبر دوامات الواقع العاتية ، دون طعام ، مع كبح شهوات النفس الدنيوية .

كيف سيقابل "صلاح" ؟ ذلك الفتى الذى يعيش فى الغرفة المجاورة؟ كيف سيقابل الواشي وتظل نفسه صافية من شوائب الانفعال والتوتر ؟ لماذا افترض أنه سيصمت ولا يبوح بسره ؟ لقد مر الاحتمال بذهنه ، ولم يتوقف عنده ، ربما ذلك أفضل ، يلتمس الاعذار له حتى لا يعاقبه ، ولا يوجد للآخر داخله مبرر للتحامل عليه ، كل خطأ من الممكن أن نجد له تبريرا وتفسيرا ، حتى نظهره صوابا ، كل شئ نسبى ، فى ظروف أخرى كان سيقتله ، لكن وقد أنتهت الأمور على هذا النحو ، فلا داعى لاطلاق وحش الأعماق عليه ، فقد تسير الأمور كما رسم وتمنى ، ومن الآن حتى الجمعة فليسكن ، يبتعد ، يتفرغ لقراءة القرآن ومحاولة الوصول إلى النفس المطمئنة التى يسعى اليها طول عمره ولا يجدها ، لن تدعه الحياة يفوز بها ، لكنه سيعاند الحياة ويفوز.

***

ظل مستيقظا يقرأ حتى الثانية صباحا . ولم يعد الفتى ، وبرقت فى ذهنه خاطره ، نزل عن السرير واندفع إلى الغرفة المجاورة ، أضاء النور ، وفتح دولاب الملابس ، لم يجد شيئا ، أخذ الولد أمتعته ومضى، ترك مبنى الاستراحة ولن يعود ، لم يستطيع مواجهته بعد فعلته ، هرب

وذلك خير على كل حال ، فقد كان يقلقه أمر وجود انسان فى غرفة مجاورة له ، فى الفندق كان يكره أن ينزل بجواره أحد ، يحب أن يظل وحيدا ، بعيدا قدر الأمكان عن البشر ، حتى يشعر بالحاجة إلى الاقتراب منهم ، فيقترب بحساب ، فالمشاكل لا تأتى إلا من الاقتراب والاحتكاك بهم ، ربما هذا هو السبب فى عدم زواجه ، لا يطيق أن تشاركه أخرى حياته فى الأربعة والعشرين ساعة ، على مدى سنوات وسنوات . تصرفات البشر لا تحتمل إلا بمقدار ، أما الصمت على تراكمات هذه التصرفات التى لا تعجبه ، فقد تدفعه يوما إلى أن يضرب ضربته ، هو يعرف نفسه ، فالابتعاد أفضل ، ولماذا إزهاق روح بريئة ، كل ذنبها أنها تعيش كانسان له حسناته وعيوبه وهو لا يطيق العيوب ، حتى عيوبه هو ، فكيف بمثالب الآخرين ، فليبتعد عنهم ، ليظل بعيدا عن الجنون ، فالآخر داخله يرى أن البشر لا ينظرون إلى بعضهم كآدميين ، لذا يفعلون ما يرونه مناسبا لمصلحتهم دون اعتبار للآخر ، فالمشاعر لا تهمهم ، وليمت الآخر بغيظه ، لكن الآخر أحيانا لا يموت بغيظه ، بل يجعل غيظه يقتلهم ، وهو محق فى ذلك برغم أن رد الفعل ليس فى قوة الفعل نفسه ، فالفعل مزعج مقلق ، لكن الرد نفى ، اقتلاع وانهاء للآخر ، والمصيبة أن لا أحد يتعلم ، وتظل العجلة تدور ، ولا استفادة من التجربة السابقة ولذا يظل مسلسل القتل واردا فى كل لحظة .

ألا يؤمن بالبشر ويثق فهم ؟ هو فى طبعه غير متفائل ، يتوقع الشر من الجميع بسوء نية أو حسن نية ، ويحس دوما بأن كارثة ما ستنزل

فوق رأسه ، وربما تكون تصرفاته نوعا من الوقاية لدفع الأذى عنه ، لابعاد الشر والكارثة ، أحيانا يخيل اليه أن كل ما يدور بذهنه ، هو

نوع من الأوهام خلقها بنفسه ، وأنه يعيش واقعا من الخيال من صنعه ، وأن الواقع الحقيقى مختلف عما يراه ويحسه ، وأنه يفتقد ذلك المعيار الذى يمكنه من معرفة الواقع الحقيقى وطبيعة الحياة التى يعيشها ، أحيانا يتصاعد داخله احساس غريب ، فينظر إلى نفسه مندهشا متسائلا : من هو ؟ وكيف أصبح فيما هو عليه ؟ ينظر إلى نفسه فى المرآة - إلى يديه وباقى أعضاء جسده ، وكأنها ليست منه أوله .. ويعجب من هذا الشخص الذى يسكنه ولا يعرفه ، على المستوين المادى والنفسى ، يشعر بانفصال كامل عن هذا الذى يأكل ويشرب ويتكلم ويعيش داخل جسد يقال إنه جسده أو إنه هو ، يدرك أنه ليس هو ، بلحمه ودمه ونفسه ليس هو ، لكن هذا الآخر يطيع أوامره ، ويتصرف كما يأمره ، لا يعارضه أو يتمرد عليه ، وحتى اذا تمرد ، فالآخر يمد له العون ويتمرد معه ، والمعارضة تأتى دوما منه لا من الآخر ، وتنصب على نفسه هو لا على الآخر الذى ينفذ بحرفية شديدة كل ما يمليه عليه ، إنه يخاف هذا الآخر ويحسب حسابه ، لكن لا يظهر له ذلك خوفا من أن ينقلب عليه ، ويقلب حياته إلى مالا يعلمه . أحيانا يحبه ، وأحيانا يشعر بالنفور منه . وتارة يرغب فى دخيلة نفسه أن يترك له قيادة سفينة حياته بالشكل الذى يراه دون تدخل منه ، وقد فعلها مرة بعد ما قرأ رواية حياة الغاب لميتسيل ثورينيه ، ثم شاهدها فيلما بعد ذلك ، ربما دهش الآخر للأمر ، فقد ظل يومها نائما فى

السرير طوال النهار ، لم يفعل شيئا أو يفكر بشئ ، وبدأ أن الآخر لا يصدق ، وظل فى حالة سكون ليرى صدق ما انتواه ، ولم يستمر ، فقد انتابه الخوف بمجرد قدوم الليل ، وارهاصات قيام الآخر من رقدته تهز كيانه ، فأخذ المبادرة منه قبل أن يتمكن من فعل أى شئ ، وتردد كثيرا بعد ذلك فى السماح لهذا الآخر فى أن يجلس على عرش عقله وجسده مرة ثانية ، إلا ما استطاع ذلك الآخر سلبه منه ، إنه يخاف إن استولى عليه ألا يستطيع استعادة نفسه ثانيه ، مع أن من حق هذا الآخر أن يعيش وأن يرفع الكبت الذى يحاصره ، وأن ينال حريته ، واختياراته دون إكراه . وبرغم ايمانه بالحرية ، الحرية التى تكاد تقترب من الفوضى ، إلا أنه عند هذا الآخر ، ينسى المبادئ والأخلاق ، ويمارس عليه أقسى درجات العنف والسيطرة ، إلا أنه يبرز أحيانا ، برأسه معترضا على ما يفعله ، محبذا ما رفضه ، أو رافضا ما قبله ، يلوى يده ، ويجبره على تصرف ما لدقائق فقط ، لكنها تحمل فى ثناياها كارثة ما ، أو فكرة مضروبة متخلفة ، مثلا .. الجنس يفتنه ، ويشده إلى ذرى لا يستطيع ادراكها والوصول اليها ، إلا فى لحظات تجلى غريبة ، تبعثها فيه أبيات من الشعر أو لوحة سريالية أو آية قرآنية أو منظر طبيعي ، لكن الآخر تجده فى لحظات التجلى تلك يكمن، ليرفع رأسه بعدها معبرا عن اشمئزازه من الجنس ، ومن متع الطعام والشراب ، ومن كل ما فى الحياة الإنسانية من عوامل حياتيه ، يراها الآخر دونية ، لا تليق بجلال الإنسان وعظمته ، وأن الأكل والشرب والاخراج والجنس والمرض ، كلها أشياء منفرة تحط من قدر الإنسان

وسيطرته على حياته ومعنى هذه الحياة ، آنذاك يركبه الخوف ويستجيب للآخر ببطء ، ويحس بالذنب ، لو أخرج ريحا ، أو تبول ، أو أمسك نفسه متلبسا بنظرة شهوانية ، ويبدو له كل الآخرين فى فعلهم تلك الأمور خطائين مرتكبين للذنب ، يود لو ينتقم منهم ، ويدرك أنه ليس هو لكنه الآخر ، ولكن أى آخر منهما ، ويتصاعد الغضب داخل أحدهما ، حتى ينفجر ويستجيب لطبيعته الآدامية ،فيأكل ويشرب ، ويمارس الجنس ويعيش كما يعيش الناس ، وهو يحس بالآخر ، يتميز غيظا دون أن يملك له شيئا ، أمسكه مرة وهو يحاول أن يغريه بالانتحار ، يريد أن يدمره ويهد كيانه ، ولولا ايمانه القوى ، لاستجاب لذلك النداء الوحشى، نداء الفناء. حين تنبه للأمر صب جام غضبه عليه لكنه لم يستطع أن يفعل له شيئا ، ففى الوقت الذى يضره فإنه يضر بنفسه ، وفى الوقت الذى يفنيه ، يفنى هو الآخر ، ويكون قد حقق له ما يريد . إنه على حذر دائم منه ، يخشى أن يباغته يوما بما لا يحب ويرضى ، ولكن ما يزعجه هو أنه يأتى بعض التصرفات ، ، لا يدرى اذا كانت نابعة منه ، أو من هذا الآخر الذى يسكنه ، وهو يرى الآن أن عليه أن يدقق فى كل صغيرة وكبيرة ، ليتأكد أن الفعل فعله ، وأن يفكر مرتين حتى لا يقدم على عمل يندم عليه بعد ذلك فالآخر قد يكون رحيما وشفوقا فى غير موضوع الرحمة أو الشفقة ، أو يكون قاسيا ضاريا فى مواضع العطف والمغفرة ، لا ينسى يوما حين أمسكه متلبسا بالعطف على أولئك الفتية الذين أختطفوا فتاة فى الثامنة عشرة وتناوبوا الاعتداء عليها لثلاثة أيام قبل أن يلقى القبض عليهم ،

محاكمتهم والمناداة باعدامهم بعثت فى أوصال الآخر الرعب ، فكيف يسمح أن تزهق روح انسان لمجرد أن ترك لجسده حرية التعبير عن رغباته ، كيف يمكن أن نُنهى حياة بسبب أنها كانت تسعى إلى الحياة، وتقمص حالة الفتية ، وانتابته نشوة الفعل الذى قاموا به ، وعطف عليهم وتمنى إطلاق سراحهم ، وقد أمسكه متلبسا بذلك ، فنقم عليه وضربه على رأسه ليمنعه من التعبير عن رأيه صراحة وبصوت مسموع، وعرف أن عليه .. أن يجاهد الآخر دوما ، وأن لا فرصة للراحة بينهما ، وأن التعب قد كتب عليه ليل نهار ، حين يستريح البشر يفتقد هو الراحة ، واذا أراد أن يستريح ، فليتحمل تصرفات الآخر ، وما قد تدفعه اليه ، والمصيبة تكمن فى أنه أحيانا لا يستطيع أن يميز بين الآخر ونفسه ، ، ولا يدرى أيهما الذى يقول ويفعل ، آنذاك يتخبط فى بحر من الحيرة ، يشهق ويشهق حتى تكاد تزهق أنفاسه فى محاولته إدراك من هو ، وللامساك بالخيط الذى يفصل بين الاثنين ، قبل أن ينقطع ، وساعتها لن يعرف من هو ، وما الذى يفعله .

فتح الراديو الصغير الذى يملكه ،كان قرآن الفجر ينبعث منه فيبعث فى نفسه الطمأنينة ، يصلى الفجر وينام ، والرضا مسيطر عليه ، وبأنه الأقوى ، وبأن ذلك الآخر قد انكمش داخله ، بعد أن أدرك إنه يعرف نوازعه ويفهمه ، ويحبط مخططاته ..

***

(٢٦)

مر يومان قضاهما فى غرفته ، ينام ويستيقظ ويعاود النوم ، يتفرج على ما يعرضه التليفزيون الموجود فى صالة الشقة الصغيرة ، يخرج إلى الحوش فقط ، ليروى الزهور والخضروات التى نثر بذورها فى أحواض هندسية جميلة ، ترك باب الدار مفتوحا حتى اذا احتاجه ، أو بحث عنه أحد لا يجد صعوبة فى العثور عليه ،لم يزعجه أحد ، وحمد لهم ذلك .

بقى على الجمعة يومان ، وبوادر الملل بدأت تتسرب إلى نفسه ، لن يستطيع المكوث فى البيت ، الذهاب إلى المدينة يشكل له مخاطر فى هذا الوقت ، لكنه يريد أن ينزل ، قد لا يذهب إلى شقته ، فليذهب إلى مكتب المنظمة ، يخاف أن يفسد كل شئ بقلة صبره ، لكن الإلحاح داخله كثيف ، وعرف من أين تهب الرياح . قال بصوت هامس : ستندم، ستقول ليتنى استمعت إلى صوت العقل ولم أنزل ، وتقول كنت جالسا فى غرفتى آمنا مطمئنا ، ليتنى ما نزلت .

لكنه كان يدور فى البيت ،تكاد الطاقة تنفجر من جانبيه ، قال بعد ساعة من الدوران والدوخة : أنت حر . البس واذهب ، وليحدث ما يحدث .. لقد نبهتك ، وأدرك أن الآخر هو الذى يخلع ملابس البيت ، ويرتدى ملابس الخروج ، ويجرى إلى الاستراحة ، ويقفز فى أول عربة وافق سائقها أن يقله إلى القاهرة .

تتابعت على ذهنه فتاة المحامي وجسمها وحركاتها ، ثم شحبت صورتها ، لتحل محلها صورة زياد وهو يلعب ، أو يتناول الطعام معه ، وخطر بباله أن يشترى له بعض الملابس ، لكن معنى ذلك أن يذهب إلى شقته ، لا يدرى ، لم تقل له سعاد إنه ابنه ، يريدها أن تقول ولا يريدها . تتنازعه الرغبتان ، فلم يلح عليها ، يخاف أن يعرف ، ولا يريد أن يصل إلى قرار في هذا الموضوع .

***

حط عليه الحزن ، وعلت وجهه الكآبة ، بمجرد أن دلف إلى المكتب بقدمه ، كلما دخل هذا المكان انتابه احساس بأن هناك شيئا خطأ ، ينظر إلى الغرف والأركان إلى الأشخاص الجلوس ، يحييهم بفتور ، وهو يبحث عن الخطأ الذى يحوم بالمكان ، ويعطيه ذلك الإحساس ، إن لديه معرفة بالاماكن قوية ، يحس بتنفسها ، بعضها يتفجر بالحيوية ، بينما يسيطر الخمول على أخرى ، وتشيع اللامبالاة من أماكن ثالثة وتدب الفوضى باطنابها ، هنا يرى الخور يعتلى الجميع ، نوع من الموات يغلف الأشخاص وحركاتهم ، عيون زائغة ، وأذهان مشتته ، وأداء آلى فاتر ، وتنهدات بلا معنى ، وكلمات عاجزة ميتة وسلامات وتحيات متراخية ، وأناس كأنهم حملوا هموم الدينا نيابة عن البشر هذا الجو يجثم على أنفاسه ، ويطبق على صدره ، فيغير أحواله ، ويبعث فيه هذا الحزن المتصاعد حتى يغادر المكتب ، تصاعد ضيقه إلى درجة الاكتئاب ، وأحد الحراس يدب فيه النشاط ويحاول منعه دخول إحدى الغرف حمد الله أنه لا يعمل هنا ، وإلا لألقى نفسه من أعلى أول

جسر يقابله . فكر أن يعود أدراجه ، لكن لماذا كانت كل هذه المشقة فى السفر والقدوم ؟ فليسترح على الأقل من تعب المشوار ، عرف أن الكثيرون لا يستريحون له ، لا يدرى سبب ذلك . ربما لا يوحى لهم بالثقة ، أو ربما لقلة كلامه ، أم أن هيئته تعطى انطباعا خاطئا عن داخله ! اشاراتهم تدل على النفور منه وكراهية مجلسه ، والرغبة فى رحيله ، ربما لصراحته يتحرجون من الحديث أمامه ، ويصمتون اذا دخل عليهم ، أو يغيرون الموضوع الذى كانوا يتحدثون فيه ، يخافونه ، وقد يتقولون عليه ، لا يدرى ما يدور فى مجالسهم حوله ، الشائعات حول حكايته كثرت ، وبالتأكيد وصلتهم ، لكن لا أحد يسأله ، وهو لا يفتح الموضوع مع أحد ، هو يكرهم ، لكن الآخر بداخله يجاملهم ، يبتسم فى وجوههم ، يمسكه متلبسا بذلك ، يتركه يفعل ، فذلك أفضل .

مال إلى غرفة يجلس فيها زميل يرتاح له ، يلقاه بالترحاب ، حتى لو كان زائفا ، يطلب له قهوة أو شاياً ، ويسأله بعض الأسئلة العامة ، ثم يلزم كل منهما الصمت ، يحس إنه لا ينفر منه ، وان انتابته حالة قلق ، لأنه لا يجد ما يتحدث به معه ، اهتماماتهما غير مشتركة ، وصدور مقفله بمفاتيحها ، سلم ودخل ، جلس على الكنبة يضع رجلا فوق أخرى ، طب له الرجل قهوة ، ثم سأله :

- هل رأيت محمد الشواهدى ؟

قال : لا .

- كان هنا منذ لحظات .. وقد سأل عنك

قال : محمد الشواهدى سأل عنى .. ؟! إنه لا يحبنى .

- لقد جاء مرتين من قبل وسأل عنك وعن عنوانك ولم نستطيع الاتصال بك .

- أهو هنا اليوم ؟

- إنه يجلس مع السفير .. يبدو إنه يحتاجك بشدة .. لا تغادر قبل أن تراه .

دهش ، لماذا يريده ؟ يعرف منذ البداية أن محمدا لا يحبه ، كم تودد اليه ورغب فى صداقته ، إلا أنه كان يقابله بالنفور دائما وبالتجريح أحيانا وبالاتهام بالجنون مرات عديدة ، لا يبحث عنه محمد ، إلا اذا حدثت مصيبة فى العائلة ، وليد أو نهلة أو أى أحد ، وبدأت مخاوفه تتصاعد بداخله كبخار كثيف يغطى على تفكيره ، ويبعث الرعدة فى أوصاله ، حتى لو أنه فكر فى القيام ، فهو يشك أن تستطيع قدماه حمله .

كان قد اعتدل فى جلسته ووضع رأسه بين يديه مفكرا ، إنه يخاف محمدا ، يخاف جرأته ، واندفاعه وعصبيته ، وذكاءه ، وثقته فى نفسه ، تشوق دوما إلى دخول عالمه ، والامساك بيده ، وأن يربت على ظهره ، ويقول له يا أبن خالى ويفتح له قلبه وعقله ، ويسمع من فمه كلمه يا ابن عمتى . لكنى محمدا قد من صخر محمد كالآخر الذى بداخله ، ربما يرى فيه ذلك الآخر فينفر منه ، محمد لا يدرك أن حمدان اثنان ، لكنه ملوم ، من واجبه أن يبحث عنه ، ويحتضنه ، ويربت عليه ، إنه غريب

غربة قاتلة ومحمد هو الشخص الوحيد هنا الذى يمكن أن يثق به تماما ، ويركن معه إلى حائط صلب متين ، لن يخونه أو يغدر به ، لكن محمدا فى واد وهو فى واد آخر ، والمصيبة أنه حين يلتقيان ، يهرب الآخر الذى يتمنى لو لقيه محمد ، ولا يبقى إلا هو بكل عناده وغفلته كبغل قبرصى .

سادرا فى أفكاره حول محمد ، حين وجده يدخل عليه ، انتفض واقفا احتضنه محمد بحب حقيقى حتى أن عينيه اغرورقتا بالدموع ، جلس بقربه على الكنبة قائلا : كيف أنت يا حمدان ؟ .. دوختنى عليك .. ألا تترك عنوانك حيث تكون ؟ قال ضاحكا : من سيسأل عنى ؟

– يا سلام .. على العموم الحمد لله على السلامة .. أنت فين ؟

– فى الدنيا .

ضحك محمد ، وقال ساخرا : أية دنيا ؟

– دنيا الله .

وقف محمد ، وتطلع اليه من فوقه قائلا : قم .. روح معى .. سنتغدى معا اليوم . لم ينبس ، نهض وسار إلى جانبه ، خرجا من المكتب ، ومحمد يسبقه بخطوة ، متجها إلى سيارته ، فتح بابها وأشار له أن يدور ليجلس بجانبه .

سارت العربة حتى اتجهت إلى كوبرى ٦ اكتوبر ، وظل الصمت يحيطهما حتى أصبحا فى شارع صلاح سالم بعد العباسية . كلماهم حمدان بالكلام تراجع ، وقال فى نفسه إنه لا يريد شيئا منه ، هو الذى

يريده ، فماذا يمكنني أن أقول له ، ثم يلوم نفسه قائلا : كنت آمنا فى بيتى .. أكان ضروريا النزول إلى القاهرة ؟

تناول محمد علبة سجائره ، وناوله سيجارة والولاعة ، وأشعل لنفسه أخرى .

وجد أن عليه أن ينطق بشئ ، قال : ما أخبار وليد ونهلة ؟

قال محمد : أيهمك أن تعرف ؟

- طبعا .. أنت وهما كل أقاربي الذين أشعر بالانتماء اليهم .

- نهلة بخير .. أنجبت ولداً عنده الآن أكثر من عشر سنوات ..

- ووليد .. ؟

ردد بكلمات متتالية : وليد .. وليد ..

نفث دخان سيجارته وقال بغيظ :

- انضم لجبهة النضال .. وبالطبع لا تستطيع تتبع أخباره .

- وهل نهلة تعرف ..

- لا أظن .

وعاد الصمت ليسود بينهما .

بدأ حمدان يتململ ، لا يعرف ماذا يقول ، وأخيرا سأل :

- محمد .. أين تسكن ؟

- فى الحى الثامن بمدينة نصر ..

- وحدك ؟

- تزوجت وطلقت .

- أحسن .

أطلق محمد ضحكة قصيرة مبتورة ، وقال :

- لماذا لم تسأل عنى عند خروجك من المستشفى ؟

انقلبت معدة حمدان ، تمالك نفسه ، الآخر يبرز برأسه ، ويكاد يقول " أوقف السيارة هنا وأنزلنى " ، لكن لسان حمدان لم ينطقها ، بل قال بأسى :

- لم تسأل عنى طوال إقامتى فى المستشفى .

أشعل محمد سيجارة ، ونفث دخانها ببطء ، ولم يتكلم .

ندم حمدان على عتابه البسيط هذا ، بالتأكيد هناك أسباب لدى محمد منعته من السؤال عنه ، والأفضل عدم الخوض فى هذا الحديث .

سأل : محمد .. ماذا تتوقع أن يحدث ؟

رد محمد ساهما : أين ؟

- فى هذه الدنيا .. سياسيا .. بعد مؤتمر مدريد ..

قال : ستقوم دولة فلسطينية ..

- متى ؟

- خلال عشر سنوات .

- ياه .. عشر سنوات .. سأظل فى هذا الجحيم عشر سنوات !

ابتسم محمد : مكثت أكثر منها فى مستشفى المجانين .

تنهد وقال : هناك الأمر أرحم .

- أكنت تفضل البقاء هناك ؟

- هيأت نفسى لذلك ... لكن الاقدار أبت ...

صمت لحظات ، وأضاف :

- كنت دائما تعتقد أنى مجنون .. وتعاملنى على هذا الأساس ..

مد محمد يده ، ليربت على ذراع حمدان :

- ابدا والله يا حمدان .. لكنى كنت أراك غريبا فى حديثك وسلوكك.. و قاطعه قائلا : أتعرف لماذا ؟ لأنى مجنون فعلا ..

قال محمد وهو يوقف السيارة أمام محل للأسماك :

- وهذا يثبت أنك عاقل تماما .

نزل واشترى أربع سمكات كبار من سمك البلطى ، نظيفة وجاهزة للقلى كما اشترى بعض الخضروات ، ووضع كل شئ فى حقيبة السيارة ، ثم عاد ليقود قائلا : وصلنا تقريبا .. الشارع القادم ..

***

قال حمدان : دعنى أحمل عنك شيئا ..

صعدا إلى الطابق الثالث ، شقة واسعة ، مريحة ، مؤثثه جيدا .

تعاون الاثنان فى اعداد الغداء ، وجلسا يتناولانه .

كان ألذ طعام غداء تناوله حمدان ، وذلك بالدرجة الأولى ، لأنه بصحبة محمد . منذ زمن طويل كان يتمنى أن تكون علاقته بمحمد ، علاقة صداقة وطيدة ، لا يخبئ أحدهما عن الآخر شيئا ، وكان محمد لا يطيقه ، ترى ما الذى غيره ؟ حتى الان لا يعرف سبب سؤال محمد عنه ، ولا سبب هذه الحفاوة غير المسبوقة .

حمل كوب القهوة بيده ، وجلس على كنبة فى الصالة يتابع أحد الاستعراضات على شاشة التليفزيون ، منتظرا مجئ محمد .

مرت خمس دقائق ،تطلع حوله ، ثم إلى الممر المؤدى إلى غرفتى النوم والمكتبة ، ولم يجرؤ على القيام لرؤية ما يفعله محمد ، الحمام مفتوح ، والمطبخ ساكن ، ربما فى غرفة المكتبة يبحث عن شئ ، لو كانت علاقتهما طبيعية منذ البداية ، لقام الآن ودخل وراءه المكتبة يساعده فى البحث .

لم يطل انتظاره ، وجاء محمد يحمل بيده "دوسيه" أزرق اللون من البلاستيك ، القاه على الطاولة أمامه ، وجلس بجانبه قائلا :

- اقرأ هذه الأوراق يا حمدان .

فتح حمدان الدوسية بوجل ، وبدأ يقرأ .

رفع رأسه بعد لحظات متسائلا : ما هذا ؟

- صور لتسع عشرة رسالة - أرسلتها لكل من يخطر ببالك من المسؤولين .. أناشدهم فيها بالافراج عنك .. خلال السنوات التى تلت خروجى من بيروت ١٩٨٢ مع المقاومة . كنت فى بيروت منذ ٧٩ ، وكان

معى على المركب التى حملتنا إلى تونس صديق حكى لى عن كل ما تعرضت له هنا .. فأنا أعرف حكايتك ربما أكثر مما تعرفها أنت .

قال حمدان : وهذه الحكاية هى التى غيرت وجهه نظرك فى ؟

– تستطيع أن تقول ذلك .

اندفعت الكلمات من فم حمدان رغما عنه : عطفت على كما يفعل بعض الأجانب مع الفلسطينيين ..

لم يعلق على ملاحظة حمدان ، واستمر فى حديثه : حين حضرت إلى القاهرة .. حاولت بكل الوسائل للعمل على إخراجك من المستشفى، ولم أستطع ..

قلب حمدان الأوراق بين يديه ، لم يرغب فى الاسترسال فى النقاش حول هذا الموضوع ، فسيظل هناك سؤال معلق لا يعرف إجابته أو يعرفها ولا يريدها أن تطفو على السطح ، ولن يجيب عليه محمد بصراحة ، ويعرف أنه اذا ألح فسيدفعه إلى الكذب ، وهو لا يحب أن يقنع نفسه بالأكاذيب .

قال : شكرا لك على كل حال .. أيام وعدت .

قال محمد : على رأيك .. فالضربة التى لا تقتلنى تقوينى

قال حمدان : همنجواى

ضحك محمد وقال : لا أعرف

ساد صمت متوتر ، قطعة محمد متسائلا : أين تسكن يا حمدان ؟

– فى شقة مفروشة فى باب الشعرية .

– لكنك لا تمكث فيها ..

– أذن فأنت تعرفها ؟

– طبعا .. وأنا أبحث عنك .. عرفت بها .. وسألت عنك هناك .. وقال جيرانك إنك مسافر ..

– ذهبت لبضعة أيام إلى الأسكندرية ..

ضوء حذر أنار بداخله بأن لا يبوح بكل شئ لمحمد ، حتى يعرف بالضبط سر بحثه عنه ، وحفاوته به

سأل محمد : وهل تعرف أحدا هناك ؟ .

– زميل كان معى فى مدرسة الصنايع بغزة .. قضيت عنده بضعة أيام . لم يلح محمد بالسؤال حول هذه النقطة ، لكنه يحس بأنه لا يصدقه ، لا يهمه ذلك الآن ، كلما أراد أن يعرف عنه أكثر ، نشر عليه أكاذيب أكثر ، لا يحب أن يتخذ حديثه مع أحد صيغة السؤال والجواب ، فذلك يوحى له بأنه أمام محقق ، هناك شئ يريد أن يصل اليه محمد ، ولا يود أن يبوح به مباشرة ، حتى لا يفسد عليه هذا اللقاء . قال فى نفسه : أنا صبور .. ومن الممكن أن أبيت عنده الليلة اذا أراد .

لكن يبدو أن الصبر داخل محمد قد نفد ، اذ سأله فجأة

– علمت أن كل نقودك قد سحبت من البنك بشيك مزور .. هل اتخذت اجراءً لاستعادتها ؟

كان حمدان قد تمدد على الكنبة ، فاعتدل فى جلسته وسأل :

- من الذى أخبرك بذلك .. ؟

- قلت لك كان معى أحد الأصدقاء الذين يعملون فى مكتب المنظمة هنا وحكى لى حكايتك ، كيف زج بك فى مستشفى المجانين .. وكيف نهبت نقودك وكيف تآمروا عليك .. فأنا أعرف كل تفاصيل تلك الفترة ..

قال حمدان بلهجة ممزوجة بالسخرية : ولماذا لم تتخذ اجراءً ما .. على الأقل بخصوص النقود حين علمت أنها سرقت ؟

أجاب محمد بهدوء : ضع نفسك مكانى .. ماذا بيدك أن تفعل وصاحب الشأن غائب .. !

- تضغط عليهم بما تعرفه ..

- أضغط على من ؟ المسؤول لم يعد مسؤولا .. والضابط الذى قام بالعملية لا أعرفه .. وحتى لو عرفته كيف يمكننى أن أضغط عليه .. أهدده ؟ وبأية صفة ؟ قد يضعوننى بجانبك فى المستشفى .

قال حمدان مع هزة من رأسه : معك حق .

وعاد محمد ليسأل : وأنت ألم تتخذ اجراءً من جانبك لاستعادة هذه النقود

تنهد حمدان وقال : عليه العوض .. كل واحد ينال نصيبه .. أنا زهقت .

- يعنى ألم تحاول استعادة نقودك ؟

لم يرد حمدان ، وفاجأه محمد بقوله :

- على فكرة يا حمدان .. من أين حصلت على هذه النقود ؟

فوجئ حمدان بالسؤال ، وتسارعت دقات قلبه ، وحاول أن يتماسك، ما الذى يسعى اليه محمد ؟ لماذا يحاول التفتيش فى أوراق قديمة ؟ هل شك فى شئ ويريد أن يؤكد ظنونه ؟ لا بد من قفل هذا الموضوع نهائيا، فهو على غير استعداد لتشتيت جهوده على عدة جبهات ، يكفيه ما هو فيه ، والا فالأفضل أن يستأذن ، ويعود إلى الاستراحة .

تمالك نفسه ، وقرر تجاهل سؤال محمد وقال :

- هل تظن أن باستطاعتى لو حاولت أن أسترد نقودى ؟

- حتى لو لم تحصل عليها .. لا بد من المحاولة .

- واذا كان الخصم عنيدا وقويا ولا أستطيع التغلب عليه .. أليس من الأفضل الاستسلام للأمر الواقع .. ؟

اذا كان ما يفكر فيه محمد هو كيفيه حصوله على النقود ، فسيعاود السؤال بشكل أو بآخر ، أما إذا لم يفتح الموضوع حتى نهاية السهرة ، فمعنى ذلك أنه كان سؤالاً عابراً لا يعنى شيئا ، وحمدان يتمنى أن يكون الأمر كذلك ، فهو لا يريد أن يخسر محمدا . لكن محمدا فاجأه بما لا يتوقعه ، اذ قال :

- لا داعى للمراوغة يا حمدان .. ساصارحك بكل ما فى نفسى ..

توترت أعصاب حمدان ، والتفت اليه بكل جسده ، مستعدا لسماع ما قد يحدد مصير محمد فى لحظة ، وتأكد من أن الشخص الملتفت لم

يكن هو ، لكنه الآخر ، برزت له أنياب ومخالب ، ومستعدة للهبش والتمزيق فى ثوان ،، حاول تهدئة نفسه ، وتغطية أنيابه ، وسحب مخالبه بكل قوته النفسية ، لكن الآخر كان الأقوى ، وكاد يستسلم له لولا مسارعة محمد بالقاء ما عنده :

– أعرف أنك وكلت محاميا لاستعادة النقود ، وأعرف أن الضابط الذى أمر بسحبها مستعد لإعادتها اليك .. وسأقول لك كيف عرفت .. لكن أريدك أن تجيبنى عن سؤال واحد قبل أن ندخل فى نقاش حام .. لماذا تريد قتل هذا الضابط ؟

تراجعت المخالب ، وتغطت الأنياب ، وتنهد حمدان بارتياح ، استند على ظهر الكنبة ، وقال : من يأخذ دستة من سنوات عمرك .. يحتقرك وينهبك .. ماذا يكون جزاؤه ؟ لا أريدك أن تجيب .. أنا مستعد للتنازل عن التفكير بالقتل اذا ضمنت لى أن يسلمنى النقود ويتركنى فى حالى.. أتضمن لى ذلك ؟

– أنا لا أضمن شيئا .. لكنى أخاف عليك من النتائج .

– اذا كان الأمر كذلك .. فلا تخف على ودعنى أقم بضربتى الوقائية.. قال بعصبية : أهى حرب يا حمدان؟

– حرب طبعاً .. الفلسطينى فى حالة حرب مع جميع أجهزة المباحث العربية وربما الأجنبية أيضا .. ألم تدرك ذلك بعد يا محمد .. حتى لو بقيت فى حالك .. لن يدعوك ..

ثم تنبه حمدان فجأة إلى مسألة فاتت عليه ، فقال :

– تعال هنا ..من الذى أخبرك أنى سأقوم بقتل ذلك الضابط ؟

هناك تسرب للأخبار كتسرب الغاز قد يشتعل وينفجر به ، طول عمره يخاف ذلك ، ولذلك يلعب وحده ، خطأ ألا يسمع كلام أمه ، هاهى أول عملية يحاول تنفيذها بمساعدة الآخرين ، تتناثر أخبارها على أفواه الناس . الخطأ يكمن فى البداية ، منذ فاتح " صلاح " ثم أولئك المسئولين فى الجماعة التى اتصل بها ، هل وقع فى قبضة مجموعة من الجواسيس ؟ من أين لمحمد بمعرفة كل هذا ؟ اذا وصلت الأمور لهذا الحد ، فسيضطر إلى الغاء العملية ، ولم يبق عليها سوى يومين ، ما العمل ؟ هل يذهب ليقع فى الفخ بنفسه ؟ أو يغير الخطة دون الاعتماد على الآخرين ، هناك تسرب من ناحية الجماعة ، أربعة متهمين أمامه ، لا بد أن يحدد من منهم الذى على علاقة بمحمد لدرجة أن يحدثه بأسرار كان يجب أن تبقى فى طى الكتمان ؟ صلاح ؟ لا يمكن أن توجد علاقة بينه وبين محمد ، ذلك مستحيل فليبعد الولد من قائمة الاتهام ، يبقى الثلاثة الآخرون ، من منهم الواشى ؟ ومن منهم قد تكون له صلة بمحمد ؟ لقد وثق بالشيخ عبد الستار دون نقاش ، من هم جماعة هذا الشيخ ؟ وما الذى يدبرونه ؟ أفكارهم عجيبة وحديثهم أعجب ، من غير الممكن أن يكونوا على صلة بالمباحث ، والا لألقى القبض عليه منذ زمن ، ربما هم على صلة ببعض أحزاب المعارضة ، لكن أين موقع محمد من كل ذلك ؟ ما علاقته بهم ؟ وماذا يفعل فى مصر أصلا ؟ هل هو موظف فى المنظمة ؟ ما مصادر دخله بعد خروجه من بيروت ، وذهابه إلى تونس ، عاد إلى مصر كما يقول ، فماذا يفعل هنا ؟

قال ، فجأة ، بعد صمت السكون الذى أحاط بها :

- محمد .. لماذا قتلت فيشرمان ؟

فوجئ محمد ، وقال ساهما : ما الذى خطر لك حتى تسأل ؟

قال : فيشرمان يخدم العدو الرئيسى لنا .. وهذا الضابط الذى اعتزم قتله يخدم العدو وأن كان بشكل آخر ..

- لاوجه للتشابه بين الحالتين .

- أراهما متطابقتين .

قال محمد بعصبية : فرق ..أن نحارب العدو .. وأن تحارب ابن وطنك الذى هو عربى مثلك .. وإلا سندخل فى حرب أهلية لا تنتهى .. أنا أعرف طريقة تفكيرك .. لن تقتنع بكلامى .. لكنى حاولت أن أبصرك.. الدينا تغيرت... وطريقة تفكيرك هذه لا تجدى

-كنت تبحث عنى لتحذرنى اذن .. !

- شئ من هذا القبيل ..

- هل تخدمنى وتقول لى كيف عرفت بالحكاية ؟

- سمعت بها ..

- مستحيل .. فمثل هذه الأمور ليست موضوعات سمر حتى تسمع بها ..

اغتصب محمد ابتسامة ، أظهرته بشكل بشع ، لأول مرة يراه بسحنة لا تعجبه . قال : يعنى هل اخترعتها !

قال حمدان بغضب وقد بدأ يفقد أعصابه :

- هذا ما أحاول أن أقوله .. إنك لم تخترعها .. فممن سمعتها ؟

اذا كنت خائفا على بالفعل فقل لى ممن سمعتها حتى آخذ حذرى أنت بصمتك تكاد توقع بى .

كان قد وقف وهو يتحدث ، ينظر إلى محمد نظرة جمدته ، تراجع للخلف حتى يخفف توتره، لكن رد فعل محمد كان مدهشا ، اذا قال له ببساطة :

- سمعتها من محمود عبد السلام .

اعتراه غضب أكبر ، وصاح : خبر أسود .. أى بلد هذا الذى نعيش فيه . وبدأ يسير فى الصالة بخطوات عصبية ، محمود عبد السلام ليس واحدا من الثلاثة ، معنى ذلك أن هناك آخرين يعرفون ، الحكاية شاعت وستصل الضابط تفاصيل الخطة ، وسيلقى القبض عليه، أو يعيدونه إلى مستشفى المجانين . هل تضيع كل ترتيباته وخططه ، وتنتهى إلى أبواب المستشفى ، كتلك المظاهرة التى قامت بها الثيران الهائجة محتجة ، لتجد نفسها فى النهاية قد وصلت إلى أبواب المسلخ . ليس ثورا ولن يعود إلى المستشفى أو السجن ، وسيحصل على نقوده .

لم يستطع السيطرة على نفسه ، اتجه نحو محمد ، ورفعه عن الكنبه من ياقته ، " ورزعه" عليها ثانية بعنف . بدت الدهشة ممزوجة بالخوف على وجه محمد ، قال مرتبكا متلعثما : ما الذى جرى ؟ ما الحكاية يا حمدان؟

وعاد يرفع محمد ويضغط على رقبته بياقة البيجامة، قائلا فى هياج:

- حكاية ! أنت الذى ستقول لى ما الحكاية .. من طقطق لسلام عليكم .. أريد الحكاية كاملة وإلا ألقيت بك من هذه البلكونه .

ينتابه الأحساس الآن بأنه ثور ، يمكنه أن يقتل ويكسر ، ويخرب كل شئ ، بان الذعر على وجه محمد وقال بخوف حقيقى :

- اهدأ .. اهدأ يا حمدان .. سأخبرك بكل شئ بالتفصيل .. فقط اعطنى فرصة .. أنا ابن خالك ولا يمكن أن أضرك .. اهدأ .

قال بغضب ، وهو يلقيه على الكنبه بعنف :

- أنا هادئ .. المهم أن تقول لى كل شئ بالتفصيل .. وأول شئ .. ما دورك أنت فى هذه الحكاية ؟

- أنا لا دور لى .. محمود أخبرنى بالأمر .. ورجانى أن أحذرك مما أنت مقدم عليه .

- ومحمود كيف عرف ؟

- لا أدرى ..

عاد الشرر يتطاير أمام عينيه :

- من هو محمود هذا ؟

- ألا تذكره .. إنه صديق الشيخ بخيت .

زفر بحرقة : صلاح الأعسر .. ذلك الشيوعى الذى اختفى ... وعمل دجالا يقرأ البخت ويفتح المندل ..

- أنت تذكره اذن ..

- سجنت معه أربع سنوات بتهمة الشيوعيه ولا تريدنى أن أذكره .. حكى لى وليد قصته معه .. لكن من أين عرف محمود بالأمر .. ولا تقل لى من الشيخ بخيت ..

- من الجماعة التى لجأت اليها ليساعدوك ..

قال بدهشة : غريبة .. وما الذى جمع الشامى على المغربى .. !

- لا أفهم ماذا تعنى !

- جماعة اسلامية .. ما الذى جمعها مع الشيوعين .. هل انقلب بخيت إلى جماعات اسلامية ؟

- بخيت انتحر فى السجن .. كان من جماعة " ثورة مصر " التى حاربت الوجود الإسرائيلى فى مصر .. بعد اعتراف أحد أفراد جماعتهم اعتقلوا .. وعذبوا .. وانتحر بخيت فى السجن ..

جلس حمدان ساهما ، وهدأت أحواله ..

قال : يعنى كان يتخذ من الشعوذة ستارا لثورة مصر .. وأنا الذى ظننت به الظنون .. . يرحمه الله .

وساد صمت طويل .

قام محمد ليعد القهوة مرة ثانية .

أحضرها ، وجلس قرب حمدان ، مقدما له سيجارة :

- والآن .. ما حكاية الجماعة الإسلامية التى إلتمت على الشيوعين؟

قال : دماغى "متلخبطة" يا محمد .. أنا لا أفهم شيئا .

- لو أنك صريح معى .. ربما استطعت أن أوضح لك الأمور .. لماذا لا تثق بى .. أو أنك تستهين بعقليتى ؟

- بالعكس أنا أثق بك جدا ..

- " باين " ...

- لا تؤاخذنى على ما بدا من عصبيتى .. لو عرفت الموضوع لعذرتنى .

- التمس لك العذر يا سيدى .. فقط أفهمنى ..

وفجأة أجهش حمدان بالبكاء ،. وبهت محمد .

ربت على ظهره ، وأمسكه من يده وقاده إلى الحمام قائلا :

- إغسل وجهك ووحد الله . . كل مشكلة ولها حل ..

غسل حمدان وجهه ، واتجه به محمد إلى غرفة نوم ، استلقى على السرير وجلس بجانبه : هيا صارحنى بكل شئ .. فى النهاية أنا قريبك.. ولن أتخلى عنك ..

مرر حمدان يده على جبينه فى حيرة ، وقال : كل تصرفاتى خاطئة منذ وعيت .. وكل خطوة أتخذها تقودنى إلى الموقع الخطأ ..

ظل صامتا فترة ، ثم بدأ يحكى حكايته الأخيرة ، ومحمد مصغ اليه تماما .

***

(٢٧)

حين أنهى حمدان حديثه ، ظل محمد صامتا لفترة ، يشعل سيجارة من أخرى ، واحترم حمدان صمته .

قال محمد بهدوء : شوف ياحمدان .. نحن ضيوف في مصر .. وحق الضيافة يفرض علينا ألا نتدخل في أمور البلد الذى فتح لنا أبوابه هل توافقنى ؟

قال بحزم : لا .

نفث محمد دخان سيجارته تجاه حمدان ، وقال : ليس للضيف أن يملى شروطا ..

رد بعصبيه : حين لا يعرف المضيف واجبات الضيافة . فعليك أن تتنكر لها أيضا .

اعتدل ، وارتفع صوته : معنى ما تقوله أن أظل طوال عمرى أتلقى الضربات ولا أرفع صوتا أو أرد ضربه .. أهذا هو كرم الضيافة ؟

حافظ محمد على هدوئه ، وقال : لو كل واحد أخذ حقه بذراعه لانقلبت الأمور إلى فوضى .. اذا كنت لا تقبل هذا في بلدك .. فكيف تقبله في بلد مضيف ! ؟

- بلدى .بلدى .. أين هى بلدى ؟ يعنى من الآن وحتى أرجع بلدى اذا رجعت تريدنى أن أصعر خدى للناس تدوس عليه دون أن أفتح فمى ..

- هناك أساليب أخرى غير أسلوبك .

- دلنى عليها ..

- فى حالتك مثلا .. ارفع قضية عليه .. واجهه .. أثبت أقوالك ضده.. وسينال جزاءه .

- آه .. أنت تتكلم عن أمريكا وليس عن دولة عربية .. لن يحدث له شئ وحياتك . وسأوضع فى السجن أو المستشفى ..

قال محمد بيأس : دماغك ناشفة .

رد حمدان بهدوء : ابدا لكنى أوضح لك فساد منطقك لأنه لا يصلح فى بلادنا .. وأن كان لا يمنع ، أحيانا ، أن يتبع المرء منطقا فاسدا .. لأسباب خاصة ، تهلل وجه محمد : أنت مقتنع بما قلته اذن ؟

أشار حمدان بيده قائلا : إلى حدما .

- الحمد لله يا أخى ..

- لكنى " مغيوظ " يا محمد ..

- يا سيدى " بات مغلوب ولاتبات غالب " على رأى المثل . اقترب حمدان بوجهه من محمد ، وقال هامسا :

- طيب والجماعة التى أقيم عندها .. لو تركتها هل هناك مخاطرة..

قال محمد بثقة : على الإطلاق .. أنت لم تفعل شيئا ولم تتورط فى شئ .. والأفضل أن تنسحب بسلام .. والآن أحسن من الغد ..

قال حمدان فى حيرة : أتظن أن الأمر يتم هكذا ببساطة . ؟

تمدد محمد على السرير ، وحمدان يجلس بجواره

قال : أنا مطمئن لعدة أسباب ..أنى أعرف صاحب المزرعة التى وصفتها لى .. كان يعمل مع المنظمة حتى ١٩٨٢ . واشترى هذه المزرعة وما زال يملكها .. وهو بالقطع ليس من الجماعات الإسلامية وثانيا يبدو أن محمود عبد السلام صديقه ويثق به ومحمود كما تعرف شيوعى .. ثالثا .. هناك حزب جديد يفكر البعض فى انشائه .. يجمع بين العلمانية ومفاهيم الاسلام الرحبة .. وأعتقد أن هذه الجماعة هى نواة هذا الحزب .. وبالطبع لن يلجأ إلى الاغتيالات . فاطمئن من هذه الناحية .

– وبماذا تفسر صلة الشيخ عبد الستار بهم .. ثم صلة الولد صلاح ..

– يظل هناك لغز ما .. فنحن لا نعرف التفاصيل . لكن من المؤكد أنهم ليسوا جماعة اسلامية متطرفة .. والأفضل كما قلت لك أن تبتعد.. ولنكن أصدقاء للجميع .. افعل كما أفعل ولا تتورط فيما لا يفيدنا فى شئ .. ولا تنبش وراء الأشخاص .. هل تريد أحد أن ينبش وراءك ؟

– لا

– اذن إبعد .. وخليك فى حالك .

– واذا لم يتركونى فى حالى ؟

– لا أظن ..

– والضابط ؟

- الأمور تغيرت كثيراً يا حمدان .. لم تعد هناك ملاحقات وخلافه .. ولولا أنك أثرت حكاية النقود هذه .. لتركوك فى شأنك .

- يعنى هى الثمن لأعيش فى أمان !

- أى ثمن يا حمدان ؟ إنها غلطة ضابط من عصر سابق .. الأمور الآن مختلفة ..

- يعنى .. هل تقصد ألا آخذ النقود من الضابط .. ؟

- لا بالطبع .. خذها .. لكن لا تتوقع الكثير .. وضح له ذلك .. من الممكن أن تتنازل له عن بعضها اذا كنت تخاف رد فعله .. مع أنه لا يستطيع أن يصيبك بضرر ..

- ربما يجامله بعض أصحابه .. وقد ..

- لم تعد الأمور كما كانت .. أنت تفكر بعقلية قديمة .. الدنيا كلها تتغير ..

- يعنى تتوقع ألا تكون هناك عواقب للقائى به يوم الجمعة ..؟

- لا شئ ..كلها أوهام تعشش فى ذهنك .. طلبت من الرجل أن يعيد لك نقودك .. وها هو يفعل .. لماذا تشكك فى نياته .. وترسم خططا للقتل .. خذ الأمور ببساطة ..

تنهد حمدان وقال:طمأنت قلبى..كنت سأقع فى فخ لاخلاص منه ..

- واترك هذه الجماعة .. والتفت لنفسك .. وغدا تعود إلى بلدك .. وتصبح هذه الأيام كالحلم ..

قاطعه : كالكابوس ..

- كابوس .. حلم .. لكنها تكون أياما مضت .

هز حمدان رأسه : لا أظن أن الكوابيس ستبعد عن الفلسطينى .. أخاف من الآتى .. ولا اشاركك تفاؤلك .. لكنى سأجاريك ..

قال محمد مبتسما : ما رأيك أن تشرب كأسا من الخمر ؟

قال حمدان : خمرة ؟لا .. أنا لا أشرب الخمر ..

- يا رجل .. نخفف عن نفسينا قليلا بعد هذا الحديث الجاد المزعج.. قام محمد ، وأحضر زجاجة ويسكى ، وكأسين ووعاء الثلج .. وصب لنفسه كأسا ولحمدان أخرى ..

سأل حمدان : أمركانى يا محمد ..

- لا .. انجليزى .

- آه .. هم سبب مصيبتنا ..

- اشرب .. اشرب .. حتى تتفتح مغاليق مخك ..

- لن أشرب سوى كأس واحدة حتى لا تزعل ..

أشعل سيجارة ، وأخذ نفسا ، ثم رشف رشفة واحدة من الكأس ، وقال :

حدثنى عن وليد .

لسترخى محمد على الكنبة وكأسه فى يده ، أغلق عينيه

وقال بكسل :

- قلت لك أنه انضم لجماعة " النضال " .

- التفاصيل يا محمد .. التفاصيل مهمة جدا .. أريد أن أعرف ما الذى حدفه إلى هناك ؟

- بعد ترحيله من القاهرة إلى بغداد .. وقع تحت الاغراء .. اتصل به المنظر السياسى لجبهة النضال وأقنعه بالانضمام إلى جماعته .. لا أعرف التفاصيل ..قد يرويها لك يوما لو قابلته .

- هل تعتقد أنه قام أو رتب بعض الاغتيالات لصالح الجماعة " ؟

- لا أعتقد . فالذين يقومون بالعلميات أصغر منه بكثير .. ثم إنك تعرف وليدا .. ليس من النوع الذى ..

قاطعة : " سيبك " من الكلام النظرى .. قد تعرف شخصا طوال عمرك .. ثم يفاجئك بما لا يخطر على بالك ..

- جائز .. لكن " وليد " يميل إلى الأدب .. وليس عنيفا .. ولا تنتابه نوبات هياج مثل البعض ..

شرب حمدان كأسه دفعه واحدة ، وقال بعصبية :

- تقصد من بكلامك هذا ؟

اعتدل محمد قائلا : عيبك .. أنك تأخذ كل كلام وكأنه عنك اترك هذه العادة ..

وافقه حمدان بهزه من رأسه ، وامسك بالزجاجة وصب لنفسه كأسا أخرى قائلا :

- فليسا محنا الله .

وفاجأ " محمد " بسؤاله : أتعتقد أن له دورا فى اغتيال نور الدين الأيوبى ؟

ارتفع حاجبا محمد دهشة ، وتساءل :

– ما الذى دفع هذا الخاطر إلى ذهنك ؟

– إنه يعرف نور الدين الأيوبى .. وسبق وهو تلميذ أن تشاجر معه أثناء أحد الامتحانات النهائية حين كان مشرفا عليها ..

قال محمد بهدوء وبحزم : وليد يعمل فى القسم الأدبى الأعلامى الذى يشرف على تحرير مجلة الثورة التى تصدرها الجماعة .ومعنى ذلك أنه بعيد عن فرقة الاغتيالات .. ثم أرجوك لاتردد هذا الكلام أمام أحد .. فقد تجنى على وليد خاصة وقد سمعت أنه عاد إلى مصر باسم مختلف

– وهل سمحوا له بالعودة ؟

– يا سيدى .. لا .. عاد تهريبا عن طريق القوافل التى تأتى من ليبيا عبر الصحراء إلى الصعيد .

– هل إتصل بك ؟.. هل تعرف عنوانه ؟

–لا أعرف عنه شيئا .. أقول لك سمعت .. حتى هذا الكلام لا تردده .. قد يضره . ويجعلهم يجدون فى التدقيق والبحث عنه .. كما تحاذر فى افعالك أرجوك أن تحاذر فى أقوالك ..

قال حمدان : لو لم تكن أنت لما بحت بهذه الهواجس ..

- الحمد الله .

أضاف حمدان : اذا أراد الواحد أن يسافر إلى ليبيا دون جواز سفر وتأشيره ... أيمكن ذلك عن طريق القوافل دون مشاكل ؟

- يمكن طبعا .. اذا توفر المال والجرأة ..

ردد حمدان الجملة الأخيرة عدة مرات ..

شرب باقي كأسه ، وقال هو ينهض :

- يبدو أنك تريد أن تنام .. كما أنني قد تأخرت ..

- أقعد يا حمدان .. لماذا العجلة ؟

- أنا ، أيضا ، أريد أن أنام . لقد سهرت طوال ليلة أمس - عن إذنك . أوصله محمد إلى الباب قائلا له :

- خلينا على اتصال .. ولا تغطس كعادتك .. وكن حذرا ..

- إن شاء الله .

ركب سيارة أجرة إلى باب الشعرية ، اشترى طعاما وفاكهة ، وعاد إلى شقته .

***

(٢٨)

يستلقى على سريره ، نور الغرفة مضاء ، جهاز التليفزيون مفتوح وزياد يلعب بالعاب "الفيديوجيم" وهو يتابعه بشغف ، كان الولد ماهرا جدا حقق أرقاما لم يحققها هو نفسه ، طلب منه للمرة الثانية أن يشاركه اللعب ، رفض بحجة التعب ، كان لا يريد أن يتغلب عليه الولد كما حدث فى مرة سابقة ، كان يعرف أن لديهم "تليفزيون" أبيض وأسود ،

قال : زياد .. يمكنك أن تأخذ الجهاز لك .. وحين تشترون تليفزيونا ملوناً يمكنك أن تلعب عليه .

رد الولد : يمكننى أن أشغله على الأبيض والأسود .وأيضا يمكننى أن أضعه فى الحارة .. واكسب فلوسا من الأولاد ..

ابتسم ، وقال : سيضحكون عليك ..

قال الولد : من يستطيع أن يضحك على ؟ أنت لا تعرفنى ..

ولد نحيف ، يمكنك أن تفعصه بإصبعين ، ومع ذلك ينفخ عضلاته ، محاكياً صورة الأسد كما رآها فى اوبريت الليلة الكبيرة فى التليفزيون ..، ترى لو كان هذا ولده فعلا ،ولو أنه يعيش حياة أسرية مستقرة ، هل كان ما يدور فى ذهنه ، هو نفسه الذى يدور الآن ؟

نادت سعاد على ابنها ، لكن الولد ظل مندمجا فى لعبته ، دقت على الباب ، فقال له : قم وافتح الباب ..

فرد الولد : بعد أن أنهى هذا الدور ..

قام وفتح الباب لسعاد فقال لها : إنه يلعب

قالت : الوقت تأخر .. لا بد أن ينام ليستقظ مبكرا للذهاب إلى المدرسة .. دخلت ، وشدته من يده ، صرخ ..

فقال له : خذ الجهاز معك ..

شكرته سعاد ، وسألته اذا كان يحتاج شيئا ، وخرجت .

غسل أسنانه ، اطفأ النور ، وتمدد على السرير ، وبدأ يرتب فى ذهنه الوقائع الجديدة فى هذه المعمعة التى وضع نفسه فيها .

ساير " محمد " حتى صدقه ، أو بدا أنه صدقه ، ولا بد بالطبع ، الاستغناء عن الاستعانة بالجماعة أو الحزب ، يبدو أن لهم علاقاتهم التى تجعلهم لا يحتفظون بسر ، لفلسطينى خاصة ، لن يعود إلى الاستراحة أو لمقابلتهم ثانية ، لا بد من تنفيذ العملية بالإعتماد على قوته الخاصة وإرادته الذاتية ، لكن كيف ؟ لم يبق إلا الغد ، ويأتى الجمعة ، هل يذهب إلى الفخ بنفسه ؟ كثيرون يرون الفخاخ أمامهم ، ويذهبون اليها بأقدامهم ، وحين تطبق عليهم ، يبدأون فى عض أصابعهم ، ولوم أنفسهم : لماذا لم نفعل كذا وليتنا فعلنا كذا ، مع أن الأمور كانت واضحة لهم منذ البداية ، يتجاهلون كل الظروف والمؤثرات المحيطة ، ويقعون كأى مغفل فى البئر ، تاركين لعناية الأقدار أن تتلطف بهم .

من الممكن أن يفعل ذلك ، ويتجاهل كل شئ ، ويتصرف بحسن نية،

واذا قبض عليه ، أو زُج به فى مستشفى المجانين ثانية ، سيقول تلك كانت ارادة الله ، ولا مفر منها وعند القدر يعمى البصر ولا يغنى حذر عن قدر.

أليس الكثيرون يفعلون ذلك ؟ هل يترك للأقدار أن تثبت له صدق ما يفكر فيه ؟ ليس هو الذى يفعل ذلك ..

وحده .. لا يستطيع أن يقوم بما يريده .

شقيق سعاد ، شاب فى الثلاثين من عمره ، يعمل على عربة "سوزوكى" ، ملكه ، بلطجى ، صاحب سوابق وخريج سجون ، كان يسرق العربات ، أو على الأقل أجهزة التسجيل التى بها ،بعد سجنه أول مرة ، خرج من السجن ، ليوسع من سرقاته ، واشترى عربة السوزوكى ، ينقل عليها البضائع وتكون غطاء له ، اذا فكر فى العودة للسرقة .

الاستعانة به لن تكون صعبة ، سيوافق مقابل مبلغ من المال ، يتبعنى حين أركب العربة مع الضابط ، وأجعله يقودها خارج العاصمة ، وفى منطقة معزولة يساعدنى فى حمل الضابط إلى عربته ، ونقله إلى الغرفة السفلية فى الاستراحة.

هناك مخاطر تكتنف هذه الخطة . قد يحدث فى الاستراحة ما لم يتوقعه المرء وتفسد العملية ، خاصة وقد عرف عن الجماعة ما عرف ، ثم شقيق سعاد ، قد يهدده ويبتزه ، وسيضطر ، فى النهاية ، لأن يتخلص منه ، فيوقع نفسه فى مشكلة ثانية ، المرء يخطط ، لكن الظروف قد تفسد فى اللحظة الأخيرة كل شئ .

اللعب وحيدا هو الأفضل ، آنذاك سيطمئن أن أحدا لن يخونه ولن يكون تحت سيطرة أحد .

الوقت يجرى ، ولا بد أن يضع خطة بديلة قبل أن يأتى صباح الجمعة . نهض من سريره ، أشعل النور ، اطمأن على المسدس الذى أخذه من الجماعة ، فحصه ونظفه ، وضعه تحت الوسادة ، ونام .

***

وضع حمدان مرش المياه على الأرض ، روى كل الزهور ، وبدأ يمارس بعض الألعاب السويدية ، صوت موتور الكهرباء يأتيه من بعيد، ولا شئ آخر .

قال بصوت عال : أنا والفضاء والصحراء القاضى والمدعى ، ما ألذ شعور القاضى وهو يحاكم الجناة . منذ ولدت بل من قبل أن أولد أحلم به . أنا حمدان .. أتسمعون ؟ لا أحد يسمعنى سوى الله ، الذى يسيرنى ويوجهنى ، طوال عمرى الكل يأمرنى وأنا اسمع وأطيع ، وأحيانا أدعى الصمم ، واليوم جاء دورى لتسمعونى .

نظر إلى السماء ، تطلع إلى جدران البيت ، حدق فى عود يابس مغروس فى الأرض ، اندفع بقوة إلى باب الحوش ، اتجه ببصره إلى الاستراحة ، كل شئ هادئ كعهده به .

أقفل الباب ، حمل ساطور ، وردد بصوت خافت : لن يعرفوا .

دخل غرفته ، أقفل بابها بإحكام ، ازاح السرير إلى منتصف الغرفة ، أزاح الحصيرة التى تغطى أرضية الغرفة ،رفع الباب

الخشبى بسن الساطور ، أسنده إلى الحائط برفق ، تدلى على السلم الحديدى إلى الغرفة الصغيرة ، وسحب الباب وراءه .

ردد بصوت مخبول : زنزانتى .. حبيبتى .. محكمتى .. بيت القضاء العالى .. وكر ضحكة مرعبة .

انكمش الرجل الذى فى الزنزانة على نفسه ، تكوم فى الركن مقيدا بحباله ، جلس حمدان أمامه على الكرسى الوحيد ، الموجود فى الغرفة ، والمصنوع من القش .

قال : أنا الآن القاضى والمدعي والجلاد والمحامى وأنت من تكون ؟ لم يرد الرجل .

ضربة بقدمه بعنف ، ولوح بالساطور أمام وجهه .

- وأنت من تكون ؟

تمتم الرجل بخفوت : المتهم .

ضحك حمدان : المتهم ؟ أنت الجانى .. هل تعرف تهمتك ؟

قال الرجل بوهن : لا أعرفها .. ليتنى أعرفها ؟

ضحك حمدان ثانية : معك حق .. جرائمك كثيرة .. فلا تدرى بأى منها جيئ بك ..

- اسمعنى .. ولنتناقش بعقل ..

- أنا ليس عندى عقل .. وبشهادتك فأنت الذى أرسلتنى إلى مستشفى المجاذيب ..

- اسـمـعنى فـقط ولا تلقى بنفسك إلى الـهـلاك ..مـا الذى تريده بالضبط ؟

- أريد محاكمتك .. وادانتك ..

- ألا يجوز أن أكون برئيا ..

- لا يجوز ..

- دون أن تسمع دفاعى !

- وهل سمعتنى حين ألقت القبض على ؟ هل سمعتنى حين بعثت بى إلى مستشفى المجانين ؟ هل سمعتنى حين طاردتنى وراقبتنى وأخذت نقودى وعذبتنى .. وأحلت حياتى إلى جحيم لا يطاق ؟

- أفهم أنك لا تريد أن تُصغى إلى .. !

- لن أصغى إلى أكاذيب منمقة اعتدتم عليها .. تخدعون بها البسطاء وتفعلون ما تريدون ..

- أتحكم على دون أن تسمع دفاعى !

- بالضبط .

- هذا ظلم ..

- عين العدل أيها الجلاد . فـأفـعـالكم تدل عليكم ..تشى بكم .. تدمغكم .

- بأى منطق تقيس الأمور ؟

- بمنطقى ..منطق حمدان المجنون .. المظلوم .. ألم تسمع به .. ألم تدرسه حين درست قانونك .. ؟

قال الرجل : ستودى بنفسك .

- أوديت بها منذ زمن .

- أنت لا تفقه ما تقول .. أنت فى سورة غضب ..اهدأ .. ما الذى تريده ؟

- أريد موتك .

- فى ذلك موتك أيضا ..

- أهذا منطقك ؟

- لن تفلت من يد العدالة .

-أية عدالة ؟

بدأ حمدان يضحك

سكت فجأة ، قال : مسكين - لم تأكل منذ فترة طويلة .. هل أحضر لك طعاما ؟

- لا أريد

- أحسن . فأنا أتمنى أن أراك تتلوى جوعا وألما ..

- وماذا يفيدك ذلك ؟

كز حمدان على أسنانه : أشعر بلذة .

- أنت مجنون ..

- سترى ماذا يفعل بك هذا المجنون .. أترى هذا الساطور ؟ ولوح

به حمدان أمام وجهه ، وأضاف : سأقوم بقطع أصابع يديك التى لفقت التهم للناس إصبعا إصبعا ، ثم أصابع قدميك التى جريت بها وراء الابرياء لتعتقلهم ولا تخف من النزف فأنا أعرف كيف أوقفه ثم أقطع يديك حتى الرسغين ، وقدميك حتى الكاحلين ، ثم أنفك وأذنيك وذراعيك حتى الكوعين ، وساقيك حتى الركبتين ، ثم عضدك اليمين حتى الكتف، ثم الشمال ، فحرقفيك .. وأخيرا عضوك ولسانك ، بين كل عملية وأخرى يوم أو يومين حسب حالتك الصحية ، بعد ذلك أكوى جسمك وأشويك قليلا دون الموت ، بعدها تستطيع الدفاع عن نفسك إن أردت ، وان لم ترغب فالمحكمة على كل حال قد أطلقت سراحك ، سألقى بك فى أية خرابة لتعود إلى بيتك ، إنسانا نظيفا ، معافى من كل الادران النفسية الخبيثة التى شوهتك وقد كفرت عنها جميعا .

هل تعرف منطق حمدان الآن ؟ صدقنى إنى بكل ذلك رفيق بك رحيم ، لا تصدقنى ! سأثبت لك .. ألم ابق لك عينين ترى بهما ؟ والأذنين لتسمع بهما ، أقصد ثقبهما طبعا ، والشفتين لتحركهما فهناك من يفهم حركة الشفاه ألم أبق على حياتك بينما غيرى كان كفيلا بقتلك ؟

منطق حمدان عادل ، فلتشكرنى عليه .

لم يرد الرجل بشئ ، لكن الرعب الذى ارتسم على وجهه أحاله إلى كائن شبه انسانى .

أخرج حمدان من جيبه قطعة بسكويت ، أخذ يقضمها ..

قال : نسيت أن أقول لك ماذا سأفعل باجزائك التى أقطعها .. فى هذا الركن المنعزل الذى أعيش فيه ، اترك باب بيتى مفتوحا فى أغلب الأحيان . تنهال على الحوش قطعان من القطط البرية الوحشية ، لا أعرف من أين تجئ والى أين تذهب ، حاولت مرة أن اصطاد احداها ، استطعت ذلك بصعوبة ولم أتمكن من تطويعها لتصبح أليفة ، عضتنى منه عضة قبل أن أذبحها بهذا الساطور كنت كريما معها لكن ليس لديها وفاء . هذه القطط الوحشية تأكل كل ما فى صندوق القمامة حتى بقايا الخضروات ، سألقى بأجزائك اليها . وستكسب بذلك ثوابا عظيما ، فأنت تطعمها من لحمك ، وقد دخل رجل الجنة لأنه سقى كلبا عشطا ، فما بالك بالذى يطعم قططا جوعى من لحمه وعظمه ؟

لكن ، أرجو أن تسدى لى معروفا ، فهناك تساؤل يحيرنى ، ولن يجيبنى عليه سواك .

توقف حمدان قليلا قبل أن يضيف : أريد أعرف .. بينما القطط تنهش لحمك و " تقرقش " عظامك .. هل تحس بذلك أم لا ؟ أرجوك أن تخبرنى بعد عملية البتر الأولى .

قام حمدان ، واتجه إلى الرجل المنكمش على نفسه فى الركن ، يزداد رعب الرجل كلما اقترب منه ، ابتسم وقال لا تخف .. سأترك لك حرية اختيار موعد بدء التنفيذ .. حمدان يعطيك حرية اختيار الزمان ، فهو يحكم بالعدل . متى نبدأ ؟ غدا ؟ أو اليوم . الآن مثلا .. لم يحر المقيد جوابا .

اقترب منه حمدان أكثر ، وقال السكوت علامة الرضا .. فلنبدأ أنن داس حمدان بقوة على يد الرجل

تحرك الرجل بكل قوته ليسحب يده ، فلم يستطع .

بدأ يتوسل إلى حمدان ، وحمدان صامت . اليد ممتدة على الأرض ، وحمدان يدوس فوق الكف ، والرجل يحاول أن يطبق يده .

استند حمدان بيده على الحائط ، ورفع الساطور باليد الأخرى قائلا :

- اذا لم تتوقف عن حركتك .. ضربت عنقك .

ازدادت حركة الرجل عنفا ، حتى كادت يده تفلت من تحت حذاء حمدان وبكلتا قدميه المقيدتين دفع حمدان ، كاد حمدان يقع ، ورفع قدمه عن اليد ، لكن الغضب كان قد أعماه ، فانهال بالساطور على الرجل دون أن يميز أين تقع ضرباته ، قطعه قطعا قطعا ، وتناثرت اجزاءه فى ارجاء الغرفة ، ولوثت الدماء الأرض والجدران .

نفث بغيظ ، هدأت الحركة ، إلا خلجات بسيطة لبعض الأجزاء المتناثرة : لم أرد قتله لكنه أراد أن يموت .

بينما هو يلم الأجزاء المتناثرة ، استيقظ من نومه فزعا .

***

تشهد وبسمل ، وقام ليشرب ، ويتبول .

- أعوذ بالله .. إنه كابوس وليس حلما .

نظر إلى الساعة كانت الرابعة صباحا ، ثلاث ساعات نامها جرى فيها ما جرى فى هذا الحلم المزعج .

لكن لماذا هو مزعج ؟ ألم يفكر فى أن يفعل بالضابط أشياء مشابهة لما مر به فى الحلم ، إن أحلامه ما هى إلا تعبير عما يدور فى ذهنه ، وليت الحلم يغنى عن الواقع ، اذن لاستراح الناس وأراحوا ، لكن الافتقار إلى الإحساس الواقعى بالفوز ، الإحساس الصادق الذى يتلبس الإنسان المستيقظ ، فيعطيه اشباعا حقيقيا ، سواء كان بالرضا أو الرفض ، بالشقاء أو بالسعادة ، وليس ذلك الإحساس الذى يمر بالانسان فى الحلم كما يمر المستيقظ بالظل ، بلا ملمس أو طعم ، يظل فى الفم طويلا .

عليه أن يتحرك ، فلا وقت هناك ، أدرك أنه لن يستطيع العودة إلى النوم ، فذهنه مشتعل بالافكار . أضاء أنوار الشقة ، ودخل المطبخ لاعداد كوب من الشاى ، وفتح الراديو على اذاعة القرآن الكريم ، كان قرآن الفجر ، هدأت نفسه بالاستماع إلى كلمات الله .

وضع كوب الشاى أمامه ، أشعل سيجارة ، وبدأ يخط على الورق بعض الأفكار التى راودته . تساؤلات عديدة تحيره ، لعل فى بسطها أمامه ، يجد إجابات عليها أو مخرجا مما يعانيه .

لماذا هو حزين ؟ ثائر ومريض ، غير متوافق ، ضجر ومكتئب ، يرهقه طول النهار وطول الليل ، لا يعرف ماذا يفعل بحياته ، لا ينتمى إلى شئ حقيقى ، أو بالأحرى ينتمى إلى شئ هلامى لا يدرى كنهه ، ولا يعلم كيف يتعامل معه ، يشله العجز فيفشل فى تغيير أى شئ ، يتصاعد الضيق فى صدره عدة مرات فى اليوم فيكاد يخنقه . مما يسبب له مشكلات عديدة ، أيكون مريضا بالفعل ؟ مرضا نفسيا .. لا يرقى إلى مرتبة الجنون أم هو الجنون ..

إنه لا يستمتع بالحياة ، وهذا ضد الطبيعة البشرية ، ، الأدهى أنه لا يعرف كيف يستمتع بالحياة ، لا يعرف كيف يعيش ، هل الحياة فن يفتقده أمثاله ؟

إذن لقد حدد المشكلة ،فليعمل ما باستطاعته لحلها ..

كيف يمكنه الاستمتاع بحياته ؟ ما الوسائل والمؤهلات التى تجعل فردا ما يستمتع بالحياة ؟

كتب على الورقة بخط كبير :

لقد قررت منذ الآن أن أستمتع بحياتى .

فما الذى يجب على أن أفعله ؟

وقف حائرا أمام السؤال ، فليست هناك إجابة مطلقة ، تختلف الاجابات بعدد أفراد البشر ، لا بد من البحث أولا عن المتعة فى هذه الحياة ما هى وما المقصود بها اذا سمعها المرء أو قرأها .. أن تستمتع بالحياة معناه أنْ تعرف طبيعة هذا الاستمتاع .. .. وهنا المشكلة ..

فقد يجد انسان ما المتعة فى شرب كوب من الشاى ، وتدخين سيجارة فهل يعتبر ذلك احدى أساسيات متع الحياة ؟ إنه يشرب الشاى ، ويدخن سيجارة ،ومع ذلك هو حزين ..

اذن لماذا يفعل ذلك ؟ مجرد عادة ، الحياة جملة من العادات ، لا علاقة لها بالمتعة أو عدم المتعة .

هل المتعة فى امتلاك النقود ؟

قد يحقق لك امتلاك النقود أن تشترى ما تعتقد إنه متعة ... طعام جيد ، نساء ، خمر ، سفر . لكن هل كل ذلك هو المتعة ؟

يكون فى اسوأ حالاته حين يسافر .

ويكره نفسه وهو يشرب الخمر

ولولا الحاح الجوع ما تناول الطعام ..

والنساء .. قد يكن متعة ، لكنها متعة عابرة ، نصف ساعة فى اليوم ، على أكثر تقدير ، ثم يعود إلى الكآبة والضجر .

انفاق النقود واسعاد الآخرين ..

كثيرون يجدون فى ذلك متعة ، لكن حتى لو وجدت النقود ، فانه ينفقها ليتخلص منها فهى تؤرقه ولا تسبب له السعادة ، فى الحصول عليها قلق ،انفاقها يزيل هذا القلق ، ويعود إلى حالته الأصلية ، فما جلبته من قلق ، ازالته بزوالها ، فما أضافت له شيئا ..

يبدو أن الناس صنفان : جزء منهم يستمتع بحياته ويعيشها ، والقسم الآخر يشكو منها ويضجر بها .

كتب على الورقة أمامه :

ألم تمر بك فترة شعرت فيها أنك تستمتع بحياتك ؟

حاول أن يتذكر ، ربما أياما قلائل ، ولا يستطيع أن يحدد سبب سعادته فى تلك الأيام ، رأى فيها كل شئ جميل ، مشرق ، نضر متفتح للحياة ، وشعر بحب لكل الناس والكائنات ، للأرض والسماء ،

للطير والحجر ، للماء والهواء .. لكن ما السبب في تلك السعادة ؟ ربما لأنه كان يعيش في وطنه ؟ لا يظن . فالوطن ليس بقعة من الأرض وجزءاً من سماء ؟ الوطن هو الذى تعمل فيه بتفان ويوفر لك الحياة الكريمة من مأكل وملبس ومسكن وعشرة طيبة ، وإلا لا معنى لأن يسميه الإنسان وطنا ، حين كان في وطنه ، كانت أشياء كثيرة حوله تخنقه ، ليس أقلها جو الأسرة الخانق الذى كان يعيشه ، الأسرة الكبيرة من الأقارب التى لم تعش فى سلام مع نفسها قط ، وقس على ذلك ، كلما تصاعدت من الحارة ، إلى الحى ، الى القرية ، فالبلد ، فالمدينة فالمجتمع كله . أفكار متخلفة ونظام عشائرى مهما استخدم من وسائل المدنية .

ربما أسعد أيامه تلك التى كان ينطلق فيها على سجيته ، يفعل ما يخطر بباله ، دون أن يرتبط بأحد أو يقيم اعتبارا لأى قيمة سوى العقل فى حريته وانطلاقه ، يأكل ما يحلو له ، ويذهب حيثما يريد ، لكن للأسف كان ما يريده دوماً ضد عادات وتقاليد المجتمع ، المحاذير والقيود والقوانين التى وضعها الناس ، تحد من حرته القليلة الضئيلة .

كل ما يفعله يستهجنه الآخرون ، فيضطر أن يسير وفقما يريدون ، فيفقد ذاته وحريته ومتعته .. وتعود اليه كآبته .

وهكذا لم يعد يستمتع بالحياة . و ربما لن يستمتع أبدا . هو على خلاف مع المجتمع ، لسبب بسيط ، أن هذا المجتمع الذى يطالب بالحرية والديمقراطية ، يحد من حرية أفكاره ، بعقليته المتخلفة . من أبسط الأمور ، مثلاً أن تكون له حريته فى أن يجلس على جانب من

الرصيف ليكسر بطيخة ليأكلها ، مع محافظته على نظافة الشارع ، فيستهجن الجميع فعلته ، الى رغبته فى أن يدق الباب على سعاد ليطلب منها أن تجلس معه لمناقشة ما يدور فى ذهنه من أفكار ، دون حتى أن يخطر بباله أن يطارحها الغرام بل مجرد صديقه يستريح اليها وتستريح اليه ، دون شيطان بينهما ، فتنقلب الدنيا على فعلته ، فما بالك لو فكر فى الأكثر قليلا من هذه الأمـــور التافهة ؟ ربما تكون متعة الحياة فى الكرسى الذى يجلس عليه المرء ، هو لم يجرب ذلك ، لكن لا بد أن فيه متعة كبيرة ، وإلا لماذا يدافع كل عن كرسيه بكل الوسائل الشريفة وغير الشريفة من كرسى ناظر المدرسة حتى أعلى الكراسى ؟

هو لم يجرب ، ولا يريد ، فمجرد التفكير فى الأمر ينتابه التوتر والألم ولو بحث له عن كرسى فقد يفقده القليل من المتعة التى تربطه بحبل واه إلى الحياة ، وتؤجل رحيله عن العالم ، بل هو لا يسعى حتى للارتباط بمن يجلس على كرسى ، مع أن معظم المثقفين يسعون بجد إلى ذلك . لا ينكر أن فى السلطة متعة ، لكنها ليست له ، فمنذ صغره يكره كل الوانها ، ولا يجد فيها اللذة التى يجدها الكثيرون ، برغم أنها تجعلهم عبيدا لها ، فيخونون أنفسهم من أجل النقود والقوة ، فتتبلبل السنتهم ، وهم يحاولون الجمع بين طرفى المجد : البطولة والسلطة ، إلا من رحم ربى .

ليست مشكلته عدم القدرة على الاستمتاع بالحياة فقط ، فكثيرون يعيشون حياتهم دون الاستمتاع بها ، يقلدون الحياة بالعيش على

هامشها ويخيل اليهم أنهم يحيون، وبخيالهم هذا هم قانعون، لكن ما يزعجه هو ما يصاحب ذلك من مشاكل، إنه يعانى اضطرابا دائما فى تفكيره وتوترا فى أعصابه، يقوده إلى الشئ ونقيضه فى الوقت ذاته...

أيكون ذلك هو السبب الذى جعل الضابط يدفع به إلى مستشفى المجانين ؟ إنه لا يذكر الحوار الذى دار معه ، لكن لو صح ذلك ، فثلاثة أرباع سكان العاصمة لا بد من وضعهم فى ذلك المستشفى . يمكن للمرء أن يعيش بفكر مضطرب ، لكن أن يكون مع ذلك فى تمرد دائم ؟ تلك هى المصيبة . فلو اتبع تفكيره المتأرجح بين الأنا والهو .. وتمرده المتواصل ، قد يشعر بالمتعة ، لكنه مضطر دائما لأن يقمع إحدى شخصيتيه . كتب على الورقة أمامه : إنه يهرب من الشئ الوحيد الذى قد يمنحه المتعة .

ضحك ، وعلا ضحكه .

قال لنفسه : بقيت متعة الجنس التى تربطك بمتع الحاة المختلفة .. متطلبات الجسد الشهوانية .. تلك اللحظات القليلة ..

كتب على الورق : ما زلت تهرب ...

إن الحياة لا تستحق أن تعاش .. الكثير فيها يدفعك لقتل نفسك عن طيب خاطر . متعة أن تقتل نفسك لتريحها ..

وكتب على الورق : والاكثر متعة أن تقتل من يدفعك لقتل نفسك . لكن من هو ؟كثيرون ينكدون على الآخرين حياتهم و يستحقون القتل وهل أنت مفوض بالصلاحية للحكم على من يستحق القتل ؟ من لديه صلاحية الحكم لا يفعل . ولا بد لأحد أن يفعل .

كتب : أنت تهرب .

وانفجر مرجل داخله . صاح الآخر من فيه : لا تظل تردد أنت تهرب أنت تعرف أني أقتل ، حين يصل الضجر إلى منتهاه .. ويفيض الكيل .. فإما أن أقتل نفسي أو أقتل ذلك الآخر . قد تتساءل أيستحق ذلك الآخر القتل ؟ وأجيبك يستحق تبعا لكل الشرائع السماوية .

اسمع هذه القصة التى حكتها لى سعاد صديقتك : فى هذا الحى الذى تسكنه ،يعيش متسولون وبائعون فقراء ، وحرفيون بسطاء ، ولصوص أيضا ، أحدهم يسكن البيت الذى تقطنه ، وآخر والده صاحب دكان بقالة والثالث يعمل فى شركة سائقا لاحدى العربات واتفق الثلاثة على سرقة الناس بالاكراه ليلا ، بايقافهم وتهديدهم بالمسدسات والسكاكين ، وسلب نقودهم فى الشوراع والأزقة المظلمة . وتعددت حوادثهم . وكما يحدث غالبا أمسكت بهم الشرطة .

حرموا الكثيرين من نقودهم ، وأدخلوا التعاسة على قلوبهم ، وشوهوا حياتهم وأجسادهم .فماذا كانت النتيجة ؟ لم يناموا ليلة واحدة فى الحجز ، دفع لهم أهلهم ، وهم ليسوا فقراء ، خمسمئة جنيه كفالة لكل منهم ، وخرجوا يشتمون الحكومة وظلمها ، ويبررون أفعالهم ، ويعاودون إجرامهم . وأنتظر الناس القضية ، وهم متأكدون أنهم سيستريحون منهم على الأقل ثلاث سنوات ، فهى ليست السابقة الأولى لهم ، لكن مرة ثانية ماذا حدث ؟ بعد سنة من انطلاقهم وعربدتهم فى الشوراع .. صدر الحكم ، لكن مع وقف التنفيذ ، وعرفنا منهم أن مع وقف التنفيذ هذه كلفتهم آلاف الجنيهات ، دفعوها عن رضا ، وهم

سالمون ، وما زالوا يمارسون تنكيدهم على عباد الله وسلب الأموال . لو قتلت هؤلاء الثلاثة ، أو من ارتشى منهم ، هل أكون قد أجرمت بحق المجتمع أو أحسنت ؟ تلك هى المتعة . مجرد تخيل أنى أقتلهم يبعث السعادة فى قلبى . قد أكون مريضا لكنى مقتنع بذلك تماما ..

كتب على الورقة أمامه :

" أيكون ذلك رد فعل لتوقعك الشر دائما "

تقتل لأنك تخاف ، تدافع عن نفسك ضد من يهددك .. ضد الشر القادم منهم . دفاع شرعى عن النفس .

شعر براحة غريبة ، اتحد الاثنان واتفقا ، ونادرا ما يحدث ذلك ، وجد نفسه يكتب اسم موظف المنظمة الذى بأمره دفع به إلى مستشفى المجانين . إنه يسكن فى منطقة قريبة على النيل ، انحسر عنه نفوذه إلا قليلا ، بدأ يصلى ويصوم ، ويستغفر ربه عما فعله بعباد الله .

يا الهى ، كم أضر من بشر . برحمتك وعظمتك قد تغفر له .. لكن لذتى أن أحرمه من أيامه الباقية اذا بقيت له أيام .

ألا يقولون إنه لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده . .

لقد عزم حمدان على القتل ، فهل يموت الجانى وحده ؟

هناك مغالطة فى هذه القضية . فاذا كانت منيته على يده انسان ما ، فلن يموت الا على يد ذلك الإنسان ..

انتابته رعشة وهو يفكر بكيفية التنفيذ .

لوكان هناك كاتم لصوت المسدس ، لكن لو أطلق عن قريب فسيكون الصوت مكتوما يذهب إليه مبكرا فى الصباح ، الشوراع شبه خالية حاول ألا يراك أحد ، ولا تظهر وجهك كاملا ، تخفى قليلا ، تصعد السلم ولا تستخدم المصعد ، تضرب جرس الباب ، سيفتح لك بنفسه فهو يستيقظ مبكرا ، تطلق عليه ، وتفر هارباً الفجوات فى هذه الخطة كثيرة ، وحدوث مالا يتوقع قائم لكن المغامرة أو المقامرة مطلوبة

كتب على الورق : لماذا يلح على هذا الأمر الآن ؟

سأقدم خدمة كبرة للمجتمع ، ولكل من أضره هذا الذى كان وما زال الشر فى طبعه ، مهما حاول أن يتخفى بأفعال الخير .

لو لم يصبك بضرر مباشر ، فما كنت ستتعرض له .

هدف ثان أصبح هدفا أول ، متعة مزدوجة ، تهلل وجهه

آذان الفجر يرتفع من المساجد القريبة ، ومن المذياع .

خلع ملابسه ودخل تحت الدش . صلى الفجر وقرأ حزبا من القرآن ، وعاد ليجلس إلى مكتبه .

الرعشة ما زالت تسرى فى جسده ، رعشة متعة لا رعشة خوف ، تنتابه حين يفكر فى القتل ، هناك أناس لو تخلص منهم المجتمع لصلح حاله ، الرأفة غير مطلوبة معهم ، مفسدون فى الأرض ، لا يهدأ بالهم إلا اذا خربوا ودمروا وسرقوا وقتلوا وقلبوا حياة الناس من النقيض إلى النقيض ، يزيدون نكبات الحياة ولا يخففونها ، لا يستريحون إلا اذا ساروا فى طريق الشر ، وهم فى كل طبقات المجتمع ، من الفقراء

أو متوسطى الحال ، وحتى الأغنياء ، بذرة فى نفوسهم تدفعهم للشر كأنهم يتغذون منه ، ويعيشون عليه ، ويستمتعون به . الحكومة تتخلص من بعضهم ، لكن ليس كلهم . اليوم سينتهى واحد منهم على يديه ، وسيلحقه آخر ، لو نجح سيغمره الرضا ، وسيظل واحد مجهول هو قاتل نور الدن الأيوبى ، كيف سيعثر عليه ؟ تلك مشكلة يحلها الزمن اذا أعطاه الله عمرا .

إن مواجهته للموت في أية معركة ستكون خاسرة . فهو يجد نفسه مستريحا إليه ، لم يشعر يوما أن الموت مرعب ، بل يخيل إليه دائما أنه جميل . كتب على الورقة أمامه :

اذا كان الموت جميلا ، فلماذا تبعث بمن تكرهه اليه !

يتخيل كل تلك الراحة التى تحيط بالانسان ، حين يكون ميتا ، ألم يتخلص من كل شرور الحياة ؟ إنه يخدمهم حين يسرع بالموت اليهم . وربما يخدمه أحد ما بالطريقة نفسها .

ستحوم الشكوك حوله ، اذا نفذ ما يدور فى ذهنه ، وسيقع فى ايديهم ، إلا اذا تمكن من المغادرة عن طريق غير شرعي ، لو يعثر على وليد ليسأله عن الطريقة التى دخل بها مصر ، هناك من يعرف هذا الطريق ، وعليه أن يتدبر أمره ، من المفروض أن يحل هذه المسألة قبل ارتكابه لأى عمل ، لكن الظروف حكمت كما يقولون .

كخطوة أولى لن يعود إلى شقته هذه بعد تنفيذ العملية الأولى ، انهم يعرفونها ، وأول مكان يطرقونه اذا بحثوا عنه ، والاستراحة لا

يطمئن اليها ، بعد أن تناثرت الاقوال من الجماعة بما لا يبشر بخير ، أيغادر العاصمة إلى مدينة أخرى ؟ سيضطر للنزول فى فندق ، وكأنه يقول للشرطة تعالوا وخذونى ، أو يسافر إلى احدى مدن الصعيد ، حتى يتدبر أمره ويسافر مع قافلة إلى ليبيا ؟ لو يعثر على وليد فسيختفى عنده ، حتى يحتال فى أمر سفره .

يجد نفسه الآن تواقا لمغادرة القاهرة ، تبدو له مسممه بجوها الثقافى، وتلوثها البيئي ، تساءل : اهذا هو السبب الحقيقى أم أنك بت تخاف على نفسك فيها ؟ فانت لا تجد فيها صديقا مخلصا واحدا تطلعه على سرك .

تنهد وقام من وراء مكتبه ، ارتدى ملابسه ، وأمسك بالمسدس به ثمانى طلقات ، جربه حين تدرب عليه ، لا يمكن تجربته هنا ، فالصوت سيجلب الانتباه ، اذا انطلق وأطلق روح غريمه كان بها واذا تعثر يكون قد القى الرعب فى قلبه ، فما زالت لديه بقية من حياة . فإما أن يسانده الحظ ، أو يخونه ، وعليه أن يغامر .

وتردد فى ذهنه تساؤل : وأولاده ...

وكتب على الورق " كبروا ولا يحتاجونه ".

وضع المسدس فى جيب السترة الداخلى ، أمسك بالورق الذى على المكتب ، مزقه والقاه فى صفيحة القمامة ، وأشعل فيه النار .

انتظر حتى انطفأت ، دار فى الشقة ينظر إلى كل شئ ، لا يحتاج شيئاً . أقفل الباب برفق وخرج .

قطع شارع الجيش حتى العتبة ، صعد حافلة شبه خالية إلى المنيل ، رفع ياقة سترته فأخفت جزءا من وجهه . وتوكل على الله .

***

تم الأمر كما دار فى ذهنه تماما وبسهولة شديدة ، عاد إلى شقته منتشيا ، مع أنه خطط ألا يعود اليها ، كانت الساعة السابعة . والأولاد يخرجون للذهاب إلى مدارسهم ، تسلل بخفة ودخل الشقة ، خلع ملابسه ، وارتدى بيجامته ، واطفأ النور وتمدد على السرير .

هل حدث بالفعل ما فكر به ؟ أم أنه يحلم .

العمارة ساكنة ، البواب ينام فى غرفته ، لم يره وهو يتسلل ليصعد الدور الأول فالثانى ، هدوء وصمت قاتل ، مرّ فى ذهنه أنه صمت يحمل الموت فى طياته ، خاف ألا يفتح هو الباب ، زوجته ، ابنه ، لن يتراجع ، سيسأل عن الأب ، وينتهى منه لكنه لن يرتكب مجزرة ، فليكن الله معه، ويفتح الرجل الباب .

دق الجرس دقة واحدة ، وسمع رنينه فى الداخل ، رنة تحمل صوت الموت ، أمسك بالمسدس وأخفاه خلف ظهره .

لم يسأل الرجل كالعادة : من الطارق ؟ غريب أمر الأنسان حين يكون فى مواجهة الموت ، هل يتعطل الادراك وتشل الحواس ؟ فتح الباب ، وكان أمامه وجها لوجه .

أصفر وجه الرجل وهو يقول : أهلا وسهلا ..

وما كاد ينتهى من قولها ، حتى كانت فوهة المسدس على جبينه والطلقة تخترق رأسه ، وهو يثب درجات السلم ليجد نفسه فى الشارع، اثناء ذلك كان قد أعاد المسدس إلى جيبه ، وسار بهدوء فى زقاق جانبى ، لا يفكر فى شئ سوء بالنشوة التى تعترى جسده كله ، لم يفق لنفسه ، إلا وهو فى باب الشعرية ، لا يعرف كيف قطع المسافة ، ولا كم استغرقته العملية ، حتى نظر إلى ساعته .

لا يصدق أن الأمر تم بهذه البساطة ، أهو فعلا قد ارتدى ملابسه، وحمل مسدسه ، واتجه إلى بيت الرجل فقتله ، وعاد كأنه ذهب لاحضار طعام الفطور ؟ ألا يكون الأمر حلما .

قفز عن سريره ، وأخرج المسدس وأدار مخزن الطلقات ، هناك طلقة ناقصة ، لقد أطلق واحدة بالفعل ، مكتومة شبه صامته لالتصاقها بالجبين . لم يكن الأمر حلما ، إنه يشعر بالانتعاش ، الحلم لا يشعره بذلك ، نظرة الذعر فى عينى الرجل ما زالت عالقة فى عينيه ، هى التى أرادها ، هى التى كان يبحث عنها ، هى القصاص العادل عن الجريمة التى ارتكبها فى حقه ، فبعدها مات ولم يعد يشعر بشئ .

ما أسهل القتل إذا عزمت ، هذا الإنسان الذى أزعج المئات وعذب العشرات وشرد الأسر ، فى ثانية واحدة ينتهى . ما أغبى البشر الذين لا يتخلصون من جلاديهم ، ويستذلون ويضعفون أمامهم !

***

(٢٩)

لو شكوا فيه فسيجدهم فوق رأسه ، ولن ينفذ خطته الثانية غدا ، لا يشعر بالقلق أو الخوف ، لكن بهدوء غريب ورغبة عارمة فى ممارسة الجنس ، الساعة ما زالت الثامنة والنصف صباحا ، وعليه أن يرسم الخطة التى سينفذها ، دون مساعدة من أحد . كيف ؟ ..

سمع "سارينة "سيارة بوليس ، قفز من سريره ونظر من شيش النافذة ، انتقل إلى غرفة أخرى ليتمكن من الرؤية جيدا ، ربما جاءوا ليقبضوا عليه ، وقع فى الفخ ، سيعيدونه إلى مستشفى المجاذيب ، سيدعى الجنون ، لن يعاقبوه ، المستشفى فقط .

ومرت العربة ولم تتوقف فى الحى ، ابتعدت ، حمد الله وعاد ليستلقى على السرير ، من سيفكر بأنه الفاعل ، من يمكنه أن يعود إلى أحداث جرت منذ حوالى خمس عشر سنة . لقد ارتكب الرجل جرائم بعدد شعر رأسه ، فليبحثوا عن القاتل بين أولئك المظلومين .. ليترك التفكير فى الماضى ، وحده لن يستطيع تنفيذ ما يدور فى ذهنه ، والاستعانة بأحد الآن يبدو أمرا مستحيلا . موعد تسلمه النقود غدا ، هل ينيب المحامى ليتسلم النقود ؟ لن يرضى الضابط ، هكذا سبق أن أخبره المحامى ، وهذا ما جعله يشك فى نيته ، فلو كان صافى النية تجاهه ، فما الذى يمنعه من تسليم النقود إلى المحامى ؟

لكن ..

خطرت فى ذهنه فكرة جعلته يقفز عن سريره ، فى كثير من الأمور الشائكة التى اعترضته ، ما كان ينقذه سوى " استهباله " ، يدعى السذاجة وأحيانا البلاهة ، فيجتاز كثيرا من المصاعب .

سيعود إلى الاستراحة ويطلب مقابلة مسؤول الجماعة ، ويرى إلى أين وصل الأمر بهم فى مساعدته ، وينسى كل ما حدثه به محمد وكأنه لم يكن ، ما الذى سيخسره فى النهاية ؟ إن ساعدوه ونفذوا معه خطته، كان بها وإن رفضوا ، فالأمر بالنسبة له سيان ، فهو يعرف ذلك مسبقا.

استراح إلى هذه الفكرة .

أعد حقيبته الصغيرة ، وغادر شقته إلى موقف أحمد حلمى .

طلب من السائق أن يوقظه حين يصل إلى الاستراحة ، واسند رأسه على جانب المقعد الخلفى للسيارة وراح فى النوم أو حاول أن يوهم نفسه بذلك .

***

اهتزت العربة بشدة ، ففتح عينيه ونظر من نافذة السيارة ، فرأى أنهم يقتربون من المزرعة ، خطر بباله أن يفاجئ المسؤول ، أو أحد أعوانه بالزيارة ولا ضرورة للذهاب إلى الاستراحة وطلب الاذن بالمثول.

نزل . سار إلى المزرعة فأوقفه الحارس برغم معرفته به . قال إنه على موعد مع صاحب المزرعة ، دخل الرجل كوخه واتصل من تليفون لم يره من قبل ، موضوع داخل سلة كبيرة . تكلم بهمس وهز رأسه عدة مرات . وضع السماعة وقال له : أظنك تعرف الطريق .

سار فى الطريق الذى سار فيه من قبل ، إلى الغرفة الكبيرة التى تبعد عن بوابة المزرعة ، بحوالى ثلاثمئة متر . كان المسؤول ينتظره عند باب القاعة ، سلم عليه بترحاب شديد أثار ريبته ، خلع حذاءه ، ومشى على البساط إلى صدر القاعة ، حيث كان يجلس شخص لم يبد غريبا عليه قام بمجرد أن دخل الغرفة ، سلم عليه ، وجلسوا جميعا .

رحب به المسؤول مرة ثانية ، وعرفه على الشخص الثالث معهما قائلا إنه محمود عبد السلام .

قال فى نفسه : اذن التسرب حدث من مسؤول الجماعة .

لم يدعه المسؤول يسرح مع أفكاره الخاصة ، اذ قال :

– محمود أحد القيادين فى جماعتنا .

وجد نفسه يقول :

– وما جماعتكم ؟ هل هى جماعة اسلامية ؟ أو جماعة ثورية ضد اسرائيل أو حزب جديد لم يعلن بعد ؟ . الذى أعرفه أن محمود من جماعة " ثورة مصر " التى واجهت الصهاينة فى مصر .. ؟

قال المسؤول بعصبية واضحة : أتعرف يا حمدان .. أنت شخصية عجيبة .. تريد أن تعرف كل شئ فى فترة قصيرة .. " بصلتك محروقة " كما يقول المثل عندكم ..

أجاب بهدوء ظاهرى :أحيانا لا يكون ذلك عيبا ..حتى لا يقع المرء فى الشراك .. لكن العيب أن يفشى سر كان بيننا لتعلم به القاهرة كلها..

قبل أن يرد المسؤول تدخل محمود بالحديث :

- أظنك تعني حكايتك مع ضابط الشرطة .. سمحت لنفسي أن أحدث " محمد " قريبك بالأمر خوفا عليك ..

- ألا تخاف بكلامك هذا أن يعيدوني إلى مستشفى المجانين أو يقبضوا علي ؟

- أخاف عليك بالطبع كما أخاف على نفسي ، لكني أرى أن لديك شعورا بالاضطهاد غير مبرر.قد يدفعك لارتكاب ما تندم عليه بعد ذلك.

- قلبك على الضابط .. لا على أحد آخر ..

- عليكما أنتما الاثنان .

- اذن أنت تعرف هذا الضابط ..

- أعرفه جيدا ..

- وهل أبلغته بما انتويه له ؟

بدا الامتعاض على وجه محمود ، وقال :

- أنت تخلط بين الحكمة والسذاجة ..

بدأت الدوامة تدور في ذهن حمدان ، وظهرت بوادر نوبة حادة توشك أن تجتاحه ، احمر وجهه ، وتسارعت دقات قلبه ، وارتعشت يداه وضعهما على ركبتيه ، وضغطها بشدة ، وقال بلهجة حاول ألا تخرج مندفعة ثائرة : أنا رجل لا يحب الفراغات .. فمن خلالها يمكن أن يتسرب كل شئ .. من الشك إلى الموت .. أحب أن أعرف كل شئ ،

على الأقل فيما يخصني .. وأنا أطلب توضيحا كاملا أمام مسؤول الجماعة الذى ائتمنته على سر لم يحافظ عليه ..

قال محمود بعصبية حاول أن يكتمها : أى فراغ الذى تتحدث عنه.. قال : هناك مساحات خالية أرجو أن تملأها لى .. خير من أن يشتط خيالى بعيدا فى محاولة ملئها .

ربت المسؤول على ظهر حمدان ، وكان غلام قد دخل يحمل صينية عليها أكواب عصير الليمون ، ناول حمدان احداها قائلا :

- اشرب أولا .. وسنملأ لك كل المساحات التى تراها فارغة ..ماذا تريد أن تعرف ؟

قال حمدان : لا يهمنى أن أعرف عنكم ما لا تريدون قوله .. أريد أن أعرف على الأقل ما يخصنى فى هذا الموضوع .. نحن اتفقنا على شئ .. ما مصير هذا الاتفاق ؟ ..

قال المسؤول : نحن عند كلمتنا .. سنساعدك .

- كيف ؟

- تذهب غدا لتأخذ نقودك من الرجل .. ولن يحدث منه شئ .. تأكد من ذلك ، ولكى تطمئن أكثر ستكون عربتنا فى انتظارك عند شقة المحامى لتقلك فور خروجك من البيت إلى أى مكان تريده ولن يستطيع أحد التعرض لك .. ألم تكن تخاف من فخ ينصب لك ؟ قال حمدان ببطء: وهل تعتقد أن سعيى كان وراء النقود فقط ؟

- هل أنت مصر على قتل ذلك الضابط .. ؟

تردد قليلا : لست مصرا ، .. لكن هنا مساحة فراغ أود أن أعرفها ..

قال محمود : بصراحة .. نحن ندرك أن الضابط قد تصرف معك بنذالة .. لكنه الآن يساعدنا ويقدم يد العون لنا في كثير من الأمور .. لقد تغير .. أؤكد لك ..

ضحك حمدان ، وقال : أتعرف المثل الذي يقول : إن تابت ..

قال المسؤول مقاطعا : لا تكمل .. كل انسان يخطئ .. ومن حقه تصحيح خطئه .. ومن واجبنا أن نساعده على ذلك ..

- لم يكن ذلك رأيك في لقائنا السابق ..

- لم تكن الصورة واضحة أمامي .

أيقن حمدان أنه وقع في فخ ،وبقدمه هو ، التي دخل بها عشا لا يعرف ما بداخله ، وعليه أن يتراجع بهدوء دون أن يثير ريبة أو شك أحد . انتقل إلى موضوع آخر ، وسأل " محمود " :

-هل تعرف مكان وليد الشواهدي .. سمعت أنه هنا في مصر .

ابتسم محمود : محمد الذي أخبرك .. كان هنا فعلا .. لكنه سافر إلى السودان منذ يومين .

حك حمدان ذقنه ، وقال متجها بحديثه إلى المسؤول :

- لو أردت السفر إلى السودان .. هل تساعدوني ؟

- ليست في ذلك أية صعوبة ..

- سأل محمود : ألم يتحدث عن اغتيال نورالدين .. ؟

نفخ محمود غيظا ، وقال : ما في ذهنك لا تحيد عنه ابدا .

-لأنك لا تعرف ما كان يمثله نور الدين الأيوبى لى ..

- ستظل طول عمرك فى صراع .. ولن تعيش فى سلام .. الفرصة الآن متاحة لك .. خذ المبلغ من الضابط .. واستقر فى حياتك واغفر لكل من أساء اليك .. ولا تنظر إلى الماضى ..

تطلع اليه حمدان بدهشة . أنت الذى تقول ذلك... ؟

قال المسؤول :مشكلتك أنك لا تنظر إلا لمصلحتك القريبة اغتيال الافراد لن يفيد كثيرا .. فالمفسدون كثيرون .. كلما ذهب واحد نبت بدلا منه عشرة .. أنت تريد الانتقام كى تشفى غليلك ..

ابتسم حمدان : وهل في ذلك خطأ ؟ شفاء الغليل يحسن من صحة المرء النفسية ويجعله أقدر فى تسيير دفة حياته ..

قال المسؤول منهيا الحديث : المهم .. غدا تذهب لتأخذ نقودك .. عربتنا ستكون بانتظارك أسفل بيت المحامى يقودها صلاح وأنت تعرفه.. وليذهب بك إلى أى مكان تريده ..

- هل يعلم الضابط بأمر هذه العربة ؟

- لا يعلم بشئ .. لكننا على ثقة أنه لن يحاول معك شيئا .. وسترى أن كل ما يدور بذهنك .. نوع من الوهم ..

- أتمنى ذلك .. وسأنفذ ما تطلبونه .. لكنى لا أريد المكوث هنا فى مصر .. أريد الذهاب إلى السودان .. وبدون جواز سفر وتأشيرة

بالطبع .. تدخل محمود قائلا : اذا أردت السفر إلى السودان فى أثر وليد .. تردد قليلا ، ونظر إلى مسؤول الجماعة نظرة متسائلة ..

قال حمدان :فى نيتى مغادرة مصر .. لكن ليس إلى السودان .. وما رغبتى فى السفر اليها إلا من أجل لقاء وليد ..

قال محمود : أذن لا تسافر ..

– هل سيعود قريبا .. ؟

هز محمود رأسه : الأسبوع القادم ..

– هل يمكننى أن التقى به ؟

– بعد موافقته ..

– لا أظن أن " وليد " يرفض مقابلتى ..

– اعذرنى .. يجب أن أستشيره أولا ..

– لا ضير فى ذلك .. لقد أسعدتنى بهذا الخبر .. ووفرت على مشقة وكثيرا من الأسئلة ..

قال المسؤول : لا تحاول أن تفعل ما يعطل مقابلتك معه اذن ؟ ..

قال حمدان : سأعود إلى الاستراحة بعد تسلم النقود .. وأرجو ألا يعلم الضابط بمكانى .

– اطمئن من هذه الناحية ..

– وأرجوا ألا تتبعنا عربة لتعرف وجهتنا ..

– اطمئن .. لو شعرنا بنية غدر من الضابط تجاهك فنحن الذين سنتخلص منه .. سيصحبك صلاح غدا .. ولديه تعليمات مفصلة .

***

(٢٠)

دخلا شارع خيرت ، وأشار لصلاح على الشقة ولفت العربة من شارع نوبار لتعود إلى السيدة مرة أخرى .

قال لصلاح : سنصلى الجمعة هنا على الحصر المفروشة فى الخارج ثم انطلق سيرا على قدمي وتسبقنى أنت للوقوف أسفل الشقة .

وقبل أن ينزل من السيارة ، قال له صلاح : معى جهاز سفارى .. مداه مئتى متر .. احتفظ بقطعة والأخرى معى .. حتى يكون اتصال بيننا .. فقد يحدث مالا يسر ..

ربت على يد صلاح ، ووضع الجهاز فى جيب السترة ، بينما مسدسه فى الجيب الآخر .

***

صعد السلم وقد لمح سيارة صلاح تقف على بعد عشرة أمتار من مدخل العمارة ، فتح له المحامى الباب ، كان يرتدى جلابيه بيضاء ناصعة ، وطاقية مخرمة ويمسك بيده سبحة .

أدخله إلى غرفة الجلوس ، واستأذن أن يحضر له مشروبا .. سأله: وأين الخادمة ؟

قال : يوم الجمعة إجازتها ..

قال للمحامى : كما اتفقنا لن أوقع على أية ورقة أو ايصال .. هذه نقودى .. أخذوها زورا .. ويكفى أنى لن أشكوه ..

هز المحامى رأسه : مفهوم .. وهو يكتفى بحضورى كشاهد .. وذهب المحامى ليعد الشراب .

وطرأت على ذهنه فكرة ، العمارة من البنايات القديمة التى يحتوى مطبخها على سلم للخدم ، ينتهى إلى زقاق مجاور .. لماذا لا ينتظره صلاح عند ذلك السلم .. الاحتياط واجب .

كلم صلاح فى الجهاز .. وقال له لا تتحرك إلا بعد صعود الضابط بربع ساعة ..

عاد المحامى بالليمون ، وتساءل : هل هناك خطأ ما ..

– لا .. ولكنى أخاف من غدر الضابط .. وقد رتبت الأمر أن أغادر من باب الخدم فى المطبخ .. ما رأيك ؟

– الرأى رأيك .. لكن لا أعرف لماذا أنت قلق .. ؟

– لا أثق بهذا الضابط . وينتابنى إحساس أنه يريد اعادتى إلى السجن أو إلى مستشفى المجانين ..

– ستسير الأمور كما خططنا لها .. ولا تدع الوهم يسيطر عليك.. قال صلاح فى الجهاز : الضابط فى طريقه إلى الشقة .. استقبله المحامى بترحاب ، وقاده إلى غرفة الجلوس ، وسلم عليه حمدان بدوره . اضطربت أعصابه ، وجلس قلقا :

قال : أنا مشغول وأريد أن أنتهى من هذا الأمر بسرعة .. هل أحضرت النقود ..

ناوله الضابط ظرفا أصفر ، أخرج منه حمدان النقود ، كانت كلها من فئة المئة جنيه .

كان الضابط يرتشف قهوته فى هدوء يثير الأعصاب .

قال حمدان : أشكرك ولو انك لا تستحق الشكر ..

واتجه إلى المحامى قائلا : تعالى معى دقيقة إلى الغرفة المجاورة ..

قام المحامى معه ، عد حمدان ألفين من الجنيهات أعطاها له ، وقبل أن يتكلم .. رن الجهاز .

أبلغه صلاح أن هناك عربة شرطة تقف بالباب ويهبط منها ثلاثة اشخاص يصعدون بسرعة ،وإنه سيتجه إلى الزقاق المجاور .

أخرج حمدان مسدسه ، واتجه إلى غرفة الجلوس فوجئ الضابط ، وتعالى الدق على باب الشقة ، أطلق على رأسه رصاصتين ، وجرى إلى المطبخ ونزل السلم بسرعة لتتلقفه عربة صلاح وتنطلق إلى الشارع نوبار فالمبتديان .

قال صلاح ، وهو يتجه إلى شارع القصر العينى :

– كانوا يقبضون عليك ..

– ألم أقل لك إنه غادر .. لقد نال جزاءه ..

– هل قتلته ؟

– ألم تسمع صوت الرصاص ؟ .

– لم اسمع شيئا .. كنت مركزا على الرجوع بالعربة إلى الزقاق المجاور

– لقد وعدت ألا أقتله .. لكن الخيانة تجرى فى دمائه .. أنت

شاهد على ما فعله .. ستتوجه الآن إلى الاستراحة .. يا الهى .. هناك اناس تسعى لحتفها بقدمها .. لم يكن يتوقع طبعا أن أحمل مسدسا .. أو أن تنتظرنى عربة بالخارج مع سائقها جهاز لاسلكى . غبى ..أعرف أنه غبى منذ نقاشى معه فى التحقيق .. يستحق ما جرى له ..

لن يمكث فى الاستراحة سوى فترة قليلة ، عليه الآن أن يغادر القاهرة ، بل مصر كلها ، سيجدون فى البحث عنه .وسيعرفون أنه قاتل رجل المنظمة من مقارنة الرصاصات ، اذا فكروا فى ذلك ، لا بد من مقابلة وليد أولا ، ثم السفر عن طريق القوافل إلى ليبيا ، ومن هناك إلى تونس أو مالطة .

ظل طوال الطريق صامتا ، لم يلاحظ أن أحدا يتبعهما ، دخل صلاح بالعربة حتى باب البيت ، نزل بسرعة وعاد صلاح إلى الطريق الرئيسى ولم يره بعد ذلك .

***

(٣١)

ظل حبيس بيته أسبوعا كاملا ، لم ير أحدا ، ولم يره أحد استعان بما فى الثلاجة من طعام ، واستعاض عن الخبز فى الأيام الأخيرة بالأرز ، ركبه خوف غريب لم يعهده فى نفسه ، فلم يجرؤ على التوجه إلى مبنى الاستراحة الذى لا يبعد كثيرا ، خوف أن يراه أحد ، أو يضطر لأن يتحدث مع أحد ، أضحى شخصا جبانا مترددا ضعيفا ، حتى أدهش نفسه بتصرفاته ، كان يتوقع فى كل لحظة أن يجد الشرطة فوق رأسه ، تجره إلى السجن أوالمستشفى ، كل صوت يفزعه، وكل طرقه توتره يتلصص من باب الحوش المقفل ، ولو رأى شخصا يسير فى اتجاه بيته ، تتعالى دقات قلبه ، وتسيطر عليه الهواجس ، وتهدأ نفسه قليلا حين يراه مبتعدا فى اتجاه ماكينة المياه ، أو موتور الكهرباء .

شغل نفسه بالزهور التى فى الحديقة ، وفى القراءة واعداد الطعام، والاستماع إلى المذياع ، أو مشاهدة التليفزيون ، وتساءل إلى متى سيظل فى هذا الموقف ، إنه سجين ، ويضاف إلى سجنه هذا القلق والتوتر ،لماذا لا يتصلون به ؟ وما الذى يدبرونه له ؟ لأول مرة يسلم ذقنه لغيره ، فليتحمل نتيجة فعلته ، العزلة لا تخيفه ، فقد اعتادها ، والفترات القليلة التى يتألم فيها ويرغب فى التواصل مع الآخرين ، لا تتعدى لحظات قصيرة ولا تترك وراءها حتى الشفقة على الذات ، فى مثل هذه الحالات ، لكن انتظار المجهول هو الذى يثير أعصابه ويوتره ،

ماذا بعد ؟ وإلى متى ؟ كيف ستسير الأمور ؟ ليست لديه معلومات عما حدث، ولمن وجهت التهمة فى جريمتى القتل ، وهل يبحثون عنه ؟ أو أن بإمكانه مغادرة هذا المكان ، لم يقرأ الجرائد فلم يحضرها أحد اليه ، ولا يستطيع أن يغامر بالخروج ، إنهم بانقطاعهم عنه وصمتهم كأنهم يعاقبونه ، مـاذا لو استمر الأمر فترة طويلة ؟ ثم هل يعرف العاملون فى الاستراحة بوجوده هنا ؟ وإذا كانوا يعرفون لماذا لم يحاولوا الأتصال به ؟ على الأقل للاطمئنان على بقائه حيا ، أو لسؤاله عما يحتاجه من غذاء ؟ أو أن الاوامر لديهم باجتنابه ؟ لو مات ما درى به أحد ، ولن يمر وقت طويل حتى يضطر إلى الخروج ولو لطلب الغذاء ، فالتموين الموجود فى البيت لن يبقى إلى الأبد ، والمصيبة أن البيت ليس فيه تليفون .

تساؤلات كثيرة حيرته ، لكنه يقول فى النهاية لا بد أنهم يتدبرون الأمر ، ويحسون به ، ويعرفون ما يفكر فيه ، وأن لديهم حساباتهم .

لكن فى هذا اليوم الثامن ، بدأت الشكوك تغزوه بجانب الخوف ، إنه فى النهاية لا يعرفهم جيدا ، لو أرادوا به شرا لأبلغوا عنه ، ولألقى القبض عليه منذ اليوم الأول الذى جاء فيه إلى الاستراحة ، فهل أوهامه أو شكوكه لا محل لها ، كان يبعد عن ذهنه التفكير فى حالته ، ويهتم بإشغال نفسه برى الزهور ، وزرع الخضروات ، وإطعام الدجاج ، واللعب مع الأرانب ، أو القيام بأعمال المنزل من غسل الأطباق ، واعداد الطعام ، والاستماع للراديو ، ومشاهدة التليفزيون ، لكن بعد حين طال أو قصر ، تعود الأفكار لتطل برؤوسها ، تؤرقه ،

وتحزنه ، وتجعله يتجمد ساكنا ساهما ينظر بعيدا إلى لا شئ ، واحتمالات المستقبل تشله .

كان يعتمد على الحظ فى أن يظهر ذلك الآخر ، فينقذه مما هو فيه، أين هو ذلك الآخر الذى كان يدفعه ، رغما عنه ، للقيام بتصرفات يقشعر بدنه منها حين يفكر بها الآن ، أين ذلك الآخر ليتولى السيطرة ، ويعيد تسيير دفة حياته ؟ حتى الجنس ما عاد يفكر فيه أو يخطر له على بال ، إنه يعرف نفسه ، لو ثبت على شخصية واحدة لأراح واستراح ، لكن الآخر لا يظهر بمحض الرغبة ، ظهوره واختفاؤه ليس بيده ، ولا يعلم بالظروف التى يجب أن تتهيأ لاستبدال نفس بنفس ، حين يكون الآخر متحكما فيه ، يتمنى أن تظهر شخصيته الحالية ، فلا تظهر إلا بمزاجها واختيارها ، كما يتمنى الآن أن يظهر الآخر ليشق له الطريق ويقوده إلى الحل الذى يريحه ، أيها الآخر الذى فينا لعنة الله عليك ، تظهر وتختفى دون إنذار ، كيف يمكن الوصول اليك وتطويعك ؟

يدور فى الحوش ، كأن نارا اشتعلت فى جسمه كله ، يقف تحت الدش دقائق طويلة ، لعله يهدئ من هذا الاشتعال ، يخرج من تحت الماء ، يتناول ثلاث حبات من مهدئ يحتفظ به ، ظل أياما يتجنب تناوله، يستلقى على السرير طلبا لنوم صناعى تجلبه الحبوب .

***

لم يدر كم من الوقت نام ، لكنه استيقظ على صوت أو خبط ، فقفز من سريره وخرج وهو لا يرتدى سوى " كلسونه " ، يحمل مسدسه ويتصنت ، كان هناك دق على الباب وصوت ينادى عليه باسمه .

سار نحو الباب بخفه ، وقال بصوت خافت : من ؟

- افتح أنا محمود .

فتح الباب ، والمسدس يتجه إلى القادم .

وجد محمود أمامه وعربة تقف وراءه ليس فيها أحد .

أزاح محمود المسدس بيده قائلا : ماذا جري لك ؟

- الاحتياط واجب .

- هل كنت نائما ؟ نصف ساعة أدق على الباب حتى شككت أنك فى الداخل ..

- تناولت بعض الحبوب المهدئة قبل أن أنام .. أنت لا تعرف القلق الذى أنا فيه .

- أعرف .. أعرف .. هيا ارتد ملابسك .. ستخرج من هنا .. سأل : إلى أين ؟

- سنذهب عند وليد .

قال بفرحة حقيقية : هل عاد ؟

- عاد بالأمس .. ويريد أن يراك ..

- الحمد لله .. ما الأخبار ؟ ..

- زفت . الدنيا مقلوبة عليك . المحامى اعترف بكل شئ .. والشرطة تبحث عنك فى كل مكان .

- كنت أعرف ذلك - لامكان لى هنا الآن .. أقصد فى هذا البلد .. هل أنت متأكد أن أحدا لا يراقبك ..

- ولماذا يراقبوننى ؟ أحضرت لك ملابس سعودية .. دشد اشة وحطة وعقال .. وبذقنك الطويلة هذه لن يتعرف عليك أحد .. هيا ..

- ما رأى الإخوان فيما فعلت ؟

تنهد محمود : كان يستحق ما جرى له .. لقد أخلف ظننا - قال لنا صلاح كل شئ

ارتدى الملابس التى أحضرها محمود ، وحمل حقيبة صغيرة وضع فيها نقوده ومسدسه ، وركب العربة مع رفيقه ، وانطلقا .

***

(٣٢)

سارت العربة حوالى نصف ساعة ، والصمت يحيطهما ، ومحمود يقود بسرعة ،لم يتكلم أو يلتفت إلى حمدان، واضعا كل همه فى القيادة.

سأله حمدان إلى أين تذهب ؟

قال باقتضاب طنطا

تململ حمدان ، وعاد ليسأل : محمود لو خانك أحدهم كيف تعاقبه ..؟ أجاب محمود ، دون أن يلتفت : هل القتل يحل المشاكل أو يغير من النتيجة ؟

- يجعل ممن يفكر فى الخيانة يتردد ألف مرة

- الناس لا تتعظ .. ومن تريده أن يتعظ تكن قد قتلته

قال حمدان وهو يتمطى : هناك شئ آخر أكثر أهمية من العظة.. التوزان النفسى .. يصبح المرء راضيا عن نفسه .. ولا يهم ما يقوله الآخرون .. المهم ألا أشعر بداخلى أن أحدهم قد خدعنى ونجا .. يتندر بحكايتى ،ويضحك منى .. شئ يتعلق بشرفى الخاص

- والشرف العام .. وما يجرى للوطن ؟

- ذلك شرف الساسة .. احتكروه لأنفسهم ولا هم لهم إلا السلطة.. والقوة يقتلون لكن ليس للدفاع عن شرف الوطن . بل ليثبتوا نفوذهم وكل كلماتهم الكبيرة لا تعنى اديهم شيئا سوى أنها

وسيلة للضحك على الناس .. كاذبون ومخادعون .. يدوسون على آبائهم اذا وقفوا فى طريقهم ..لامثل عليا ولا أخلاق .. ولا قضايا كبيرة ، أتظن أنهم لا يعلمون أنهم يسيرون فى طريق الخيانة .. يعلمون ويعرفون .. والكل مستفيد ..

قال محمود بنفاد صبر : ما هدفك من كل هذا الكلام يا حمدان ؟

قال حمدان ببطء : أنت تعلم أن لا مطمع لى بسلطة أو ثروة .. فقط ليوفقنى الله لخدمة بلدى ..

ضحك محمود ..

نظر اليه حمدان ببلاهة وسأل : لماذا تضحك ؟

– خدمة بلدك ! كلهم يقولون ذلك .. يبدأون بالتضحية بأرواحهم من أجل قضية ما .. يؤمنون بها ويعملون من أجلها .. وتدور الأيام فاذ بهم يضحون بالقضية التى ثاروا من أجلها لتبقى حياتهم وسلطتهم وثروتهم .. ولتذهب القضية إلى الجحيم ..

قال حمدان بضعف : أو تظننى منهم يا محمود ؟

– يبدو ذلك فى منطقتنا قانونا عاما .. عساك لا تتحول مثلهم .. انقبضت نفس حمدان ، عاد له التوتر ، هناك قوة أكبر منه تكسر طموحاته .. ما الذى جعله ينشغل بما أفسده عما أراده .؟

لاحت غيمة سوداء فى الأفق .. وخلفوا طنطا وراءهم ..

سأل بقلق : ألم تكن طنطا تلك التى خلفناها وراءنا . ؟

– فعلا .. لقد وصلنا .. إنه يقيم فى بت منعزل فى مزرعة صغيرة خارج احدى القرى .. يعيش بصفته قريبا لصاحب المزرعة . ستبيت هناك الليلة وأعود غدا لأقلك إلى حيث تريد بعدما تكون قد اتفقت على ذلك مع وليد .. انحرفت العربة إلى طريق طينى وسارت حوالى نصف كيلو متر قبل أن تتجه نحو أحد المنازل فى وسط أحد الحقول .

منزل من طابقين ، يحيط به حوش ، وحولهما أشجار عالية وسط حقول من خضروات . ضرب محمود " الكلاكس " مرتين ونزلا من السيارة كانت الشمس على وشك الغروب ، اتجها إلى البيت وقبل أن يصلا الباب ، فتح ليظهر وليد أمامه . لم يعرفه للوهلة الأولى ، فقد كان يرتدى جلبابا أبيض ، عاري الرأس ، ولحيته طويلة .

أخذه بالأحضان ، وحين انتهيا من السلام ، اتجه وليد إلى محمود ودعاه للدخول ، فأجاب بإنه يريد العودة إلى القاهرة .. وسيمر عليها غدا فى مثل هذا الوقت .

ظلا واقفين ، حتى اختفت السيارة عن أعينهما .

***

(٣٣)

قاعة واسعة ، مفروشة بالسجاجيد ، ومراتب عليها المساند ، جلس وليد وحمدان جنبا إلى جنب فى الصدر ، أمام وليد شيشة يبدو أنه كان يدخنها قبل وصول حمدان ، يبدو الحوش واسعا أمامهما ، به عدة أشجار من النخيل والليمون والجوافة ، وأحواض مزروعة بالخضروات.

ربت وليد على ركبة حمدان قائلا : أهلا يا حمدان .. والله مسير الحي يتلاقى .

- أهلا .. أهلا .. ماذا فعلت بك الدنيا يا وليد ؟

ضحك وليد : كما ترى .. طاردتنى حتى جعلتنى أنسى اسمى .. أنا الآن الشيخ حسن ولست وليدا .. وكل يوم فى بلد ..

ظل حمدان يحدق فيه صامتا ، فاجأه وليد بسؤال :

- هل أنت الذى قتلت رجل المنظمة .. قبل حوالى أسبوع .. ؟

ابتسم حمدان وقال : كان السبب فى القائى فى مستشفى المجانين..

وأكمل وليد : والسبب فى ترحيلنا من مصر .. أتعرف ذلك ؟ لفق لنا بالاتفاق مع أحد ضباط المباحث تهمة لترحيلنا .. كانوا يضيقون بوجود اتحاد الكتاب .. وأرادوا التخلص منا دفعة واحدة .. عرفنا ذلك فى بغداد .. حظك أنك دخلت مستشفى المجانين ..

ضحك حمدان : جاء اليوم الذى أحسد فيه على دخولى مستشفى المجانين !

- لو عرفت ما تعرضنا له .. لحمدت الله .. المجانين الذين كانوا يحيطون بك أرحم ألف مرة من العقلاء الذين قابلناهم ..

- على كل حال .. كل منا فيه قليل من جنون .. لو أخذ هذا القليل دوره في السيطرة على العقل .. لأصبحنا جميعا مجتمعا من المجانين..

-- الحمد لله .. أنك دخلت وخرجت وأنت بعقلك .. فمن الممكن أن يجن المرء حتى لو كان أعقل العقلاء لو قضى الفترة التى قضيتها فى مستشفى كالذى كنت فيه . فالانسان يكون دوما فى خطر .. ما دام تحت رحمة الآخرين تماما .. وهو وضع مشابه لما كنت فيه

قال حمدان : علمت أنك عدت إلى مصر سرا بعد اعتقالى بسنة تقريبا

- لكنى لم أمكث طويلا .. ترددت على القاهرة وعواصم أخرى أكثر من مرة .. سرا بالطبع وباسم مختلف ..

-- أخبرنى محمد أنك انضمت لجبهة النضال ؟

- ماذا كنت سأفعل يا حمدان وقد كنت محصورا بين الشيطان من جهة والبحر من جهة أخرى على رأي موسى العلمى رحمه الله .

- لم أعرفك ميالا للعنف يوما ؟

- عملت فى القسم الثقافى فى مجلتهم " .. وساعدنى رجلهم بأمواله على فتح دار نشر .. نشرت فيها كثيرا من الأعمال المهمة .. كان عملى ثقافيا بالدرجة الأولى .. ولا علاقة لى بالاغتيالات التى يقوم بها .. هناك اختصاصات .. ولا يتعدى أحد على اختصاص الآخر . وتلك ميزة مهمة فى منظمته ..

- قرأت عنها .. منظمة مرعبة .. ليس من السهل اختراقها ..

- إنه رجل حذر .. وذلك ما أفاد ه كثيرا ..

ظل حمدان صامتا فترة ، حائرا في السؤال الذى يوجهه ، فلديه الكثير من الأسئلة التى لا يعرف اجابة لها ..

فقال وليد : ما رأيك لو تناولنا الطعام .. وتحدثنا ..

صفق بيديه ، فبرز لهما شاب فى العشرينات من العمر ..

قال : جهز العشاء .

حين غادر الشاب ،قال حمدان : هل هناك أحد غير هذا الشاب هنا؟

- لا .

- هل تثق فيه ؟

- لا تخشى شيئا يا حمدان .. السنوات الماضية علمت المرء الكثير .. اخوك أصبح خبيرا فى هذه الأمور ..

ابتسم حمدان : والله لم أعد أثق بأحد .. ولذلك تجدنى مهموما دائما ..

توقفا عن الكلام ، حين دخل الشاب بصينيه كبيرة عليهما الطعام ، يبدو أنه قد أعدها مقدما ، وضعها أمامهما ، وخرج .

سأل حمدان : ما يدهشنى فى جماعة النضال . . هو عدم توجيه جهدها لقتل الصهانية .. وتقتل الفلسطينين ..

قال وليد : تفضل يا حمدان ..

وصمت فترة قبل أن يقول :

– أعجب من سؤالك –خاصة وهو يصدر عن حمدان الذى قتل أحد أعضاء المنظمة.وأيضا أحد ضباط البوليس .وهما ليسا من الصهانية.. !

قال حمدان : لدى مبرراتى .. وقع على ضرر مباشر منهما أستطيع أن أحدده .. ويعذبنى كل يوم ..

– والضرر الذى يقع على وطنك .. أتراه ضررا مباشرا أم لا ..

– المسألة هنا تحمل وجهتى نظر .. من الذى يحكم أن أفعال هذا الشخص توقع ضررا مباشرا على الوطن .. أم لا توقع .. ولذا يجب التمهل وعدم التسرع ..

– وجهة نظر صائبة ..لا اختلاف بيننا ..

– طيب .. هل تستطيع أن تقول لى ما هو الضرر الذى أوقعه شخص كنور الدين الأيوبى .. على قضية فلسطين ؟ ..

قال وليد : هل تستطيع أن تقول لى يا حمدان من هو سبب البلاء أو العذاب الذى أنت فيه ، والذى يتجرعه الفلسطينيون الآن ومنذ بداية القرن ؟

قال حمدان : طبعا اسرائيل واليهود قبل اقامتها ..

– كان نور الدين الأيوبى يروج للاعتراف باسرائيل .ونسيان كل ما فات وأن نبدأ معها مفاوضات سلام لاقامة دولة مستقلة فى الضفة وغزة ..

- لا أعتقد أنه فعل ذلك ..

- الأحاديث موجودة .. واللقاءات مع الصهاينة موثقة ..

- جائز .. لكنه كان ينفذ تعليمات من هم أعلى منه .. فكنت كمن يترك رأس الأفعى ويقطع ذيلها ..

قال وليد بأسى : لقد حزنت عليه ..

- كان ناظر مدرسة الصنايع التى تخرجت فيها .. هل تعرف الشخص الذى أطلق عليه الرصاص ؟

استمر وليد فى تناوله طعامه لحظات ، ثم قال بتؤده :

- أتريد أن تقتله ياحمدان لأن نور الدين الأيوبى أخرجك من مستشفى المجانين ؟

قال حمدان بعصبية : نور الدين ساعدنى .. فماذا فعلت أنت .. ؟ جئت القاهرة عدة مرات لم تكلف خاطرك بزيارتى أو الاتصال بى مرة واحدة .. وكأنى غير موجود .. هل تستطيع أن تقول لى وأنت ابن خالى ماذا فعلت لى؟

قال وليد بهدوء : حافظت لك على عقلك يا حمدان ..

رد حمدان بعصبية أكبر : اترك هذا الكلام الإنشائى ..

عاد وليد يتحدث بهدوء : أن لا أقول إنشاء .. أنا أعنى ما قلته بالحرف الواحد ..هل كنت تظنهم يتركونك تحتفظ بعقلك أكثر من عشر سنوات فى مستشفى للمجانين ؟ ما الذى منعهم من اعطائك جلسات

الصدمات الكهربية ؟ والحقن والحبوب التى تهد الفيل ؟ وتترك المرء كالخرقة البالية .. لا فائدة منه .. من الذى منع عنك الضرب والاهانة والاغتصاب .. وجعلك تعيش فى المستشفى .. كأنك فى بيتك ؟

قال حمدان ذاهلا : الشيخ عبد الستار ..

عاد وليد يتكلم بسخرية : ومن هو الشيخ عبد الستار ؟ من الذى كان يدفع للجميع .. من الأطباء إلى الممرضين .. إلى الشيخ عبد الستار للحفاظ عليك .. تظن أنهم تركوك لوجه الله .. نحن من كان يدفع تكاليف كل ذلك .. لم أكن أريد أن أخبرك ..لكنك أجبرتنى .. بهت حمدان تماما ، وظل صامتا فترة طويلة ، حتى أنه توقف عن الاكل.

وأضاف وليد : اغتيال نور الدين الأيوبى كان ضربه أفاقتنى .. فقد كنت أعرف الرجل كما تعرفه .. أتظن أنى أتخفى الآن خوفا من الشرطة لأنى دخلت مصر سرا .. لقد تغيرت الأمور كثيرا .. أننى هارب من جماعة النضال .. إنهم يبحثون عنى الآن .. لقتلى .. ولهذا لا أمكث فى مكان واحد فترة طويلة ..

خيم الصمت عليهما ، صفق وليد فجاء الشاب ، ورفع صينية الطعام ثم أحضر لهما الشاى .

أخرج حمدان علبة سجائره ، وبدأ يدخن بعد ساعة من عدم ورود السجائر على ذهنه .

قال فجأه : " والله ما حد فاهم حاجة " .

قال وليد : ماذا تقصد ؟

- لا أعرف .. كل ما أسمعه يتناقض مع بعضه البعض .. لم أعد أفهم شيئا مما يجرى حولى ..هل تفهم أنت شيئاً ؟

سرحت أفكار حمدان فى أشياء كثيرة ، الشيخ عبد الستار تبناه تقريبا فى المستشفى ، كان ينفق عليه ، ويدافع عنه ويحميه ، وكم تساءل من الذى يحمى الشيخ ، ويدافع عنه ، وينفق عليه ؟ ظن أنه أحد قادة الجماعات الإسلامية ، ويتخذ من مستشفى المجانين ستارا حتى لا يكشف أمره ، يساعده فى ذلك بعض الأطباء والممرضين ، وهاهو وليد يفتح عينيه على شئ جديد ، جماعة أخرى حمته على النقيض من الجماعة التى ظنها ، ثم وفى الوقت نفسه يتنصل وليد من هذه الجماعة لينقاد وراء أشياء لا يفهمها ولا يريد ، طوال عمره يسجن ويخرج من السجن ، دون أن يعرف لماذا سجن أو لماذا أفرج عنه ، وظل هذا طريق حياته كلها .. قتل خاله فى لحظة لا يستطيع أن يدركها أو يعقلها ، خطرت بذهنه الفكرة فجأة ، دون تخطيط سابق ، صحيح أنه كان يشعر بأن خاله يشكل تهديدا ما له ،لكن فكرة القتل وإن راودته ، لم تكن لتخرج إلى سطح تفكيره لكنها فى لحظة غائمة لا يفهمها ، قفزت أمامه ، قادته وجعلته ينفذ . إنه الآخر ذلك الملعون الذى يقف داخله متحفزا ، شعر بسيطرته عليه ،حين قطع حبل الشرفة البلاستيك ، ووضعه فى جيبه ليقتل به عدنان بعد ذلك لقد عرف الولد أن من أمامه ليس حمدان ، جحوظ عينيه والرعب الذى سيطر عليه ورآه على وجهه ، لم يعرف له تفسيرا آنذاك ، خاصة وأن الرغبة فى

القتل لم تكن قد بدت عليه ، ذلك الآخر هو القاتل ذلك المجنون داخله الذى يعيش على الدم ، لن يتركه فى سلام إن حمدان طيب ،مطيع ومخلص وساذج ، لكن الآخر مجرم متمرد ، غادر ، ذكى ، إنه مستر جيكل ودكتور هايد.

الآن تخطر له أفكار غريبة ، احداها تقول أقتل " وليد " ، لكنها تتراجع بسرعة لتقول له اقتل نفسك . انتحر الانتحار يحل كل المشاكل التى تواجهك حين تنتحر لا تحس بشئ أو تفكر بشئ ، تصبح جثة .. كوبا فارغا كنت تعيش داخله ، سيأكله الدود وينتهى إلى تراب .

دخل مستشفى المجاذيب ، دون أن يعرف لماذا دخله ، وخرج منه وهو لايدرى ما الذى يفعله بحياته الجديدة ، تجنب الجميع ، وعاش على الهامش، لكنهم لم يتركوه ، وخلال شهر واحد تحول من مجنى عليه ، إلى جان تطارده الشرطة ، بل أقل من شهر ، يومان اثنان ، قتل فيها اثنين ويبدو أن شهوة القتل لن تفارقه إنه كالحيوان الجريح ، لا يهدأ حتى يموت إنه يريد أن يقتل ويقتل . لكن هل يستطيع أن يقتل كل الأشرار من البشر ؟ أيمكنه أن يصلح الكون وحده ؟ الأفضل أن تكون الرصاصة التالية فى رأسه ، فالآخر الذى بداخله ، سيظل يزين له القتل ، حتى يقتل ليلقى ربه ، بدسته قتلها من البشر ، ولم يكن لهذه الدستة أن تفسد الحياة أكثر لو ظلت على قيد الحياة ، لا دسته ولا مليون ، أو حتى عشرة ملايين .. إنه مجنون

اعتدل فجأة وسأل " وليد "

- وليد .. ما رأيك فى الانتحار ؟

- غباء ... الموت قادم فلماذا تستعجله ؟

- كنت دائما أرى أنك اذا أردت أن تقتل نفسك فلا بد أن هناك إنسانا أو أكثر أحال حياتك إلى جحيم . فلماذا لا تقتله أو تقتلهم بدل أن تقضى على نفسك .. وقد فعلت ذلك .. لكنى مللت ..

- يعنى أنت ترغب فى الانتحار ؟

- هذا هو الحل الأكثر تناسبا مع حالتى ..

- فسر لى ..

- هناك من يسكننى وأود قتله .. إنه يغرينى دوما بالقتل ولن يدعنى أعيش فى سلام .. ولن يموت إلا اذا مت .

- ولماذا تتحمل وزر قتل نفسك .. هناك حل أسهل ..

- ما هو ؟

- سلم نفسك للشرطة .. أنت مطلوب بتهمة القتل .. سيعدمونك .. فتكفر عن خطاياك .وتنال ما تريده ..

- أفرض .. أنهم حكموا على بالأشغال الشاقة ؟ هل أظل أتعذب طوال السنوات الباقية فى حياتى .

- على الأقل تكفر عن خطاياك ..

- أنها ليست خطاياى .. ألا تصدقنى ؟

- طبعا لا أصدقك .. من قاتل رجل المنظمة ثم ضابط الشرطة .. ؟

قال حمدان منهنها : التنفيذ تم بيدى .. وهما يستحقان ذلك .. لكنى لست أنا ..

قال وليد مستسلما : جائز

سأله حمدان : هل تفسر لي أسباب انتحار الشيخ بخيت ..؟

تغير وجه وليد ، وتنهد بعمق :

– الشيخ بخيت لقى عذابا لا يتحمله بشر .. ثم أنى أعتقد أنه قتل ولم ينتحر .. فهو لم يكن من هذا النوع من البشر . ..

– تريد أن يحدث لي ما حدث له أذن ؟

قال وليد بصوت عال : حمدان .. ماذا تريد بالضبط .. ؟

– أنا أتحدث معك .. لا أريد شيئا .

– أقصد ماذا تريد أن تفعل بحياتك الآن .. تريد أن تنتحر .. اذن أنتحر .. فقط اكتب خطابا قبل انتحارك تعترف بذلك ..

– أتخاف أن تتهم بقتلى ؟

– أحمى الآخرين .. أنا لا أخاف أحدا الآن إلا ربى .. لن تجدنى هنا بعد يومين .. ربما آخر مرة تراني فيها هذه المرة ..

قال حمدان : أنت لست " وليد" الذى عرفته ..

أنا لست وليداً ..أنسى "وليد" الذى عرفته.

لكنى على استعداد لمساعدتك الآن قدر استطاعتى ..فقط لو أخبرتنى ماذا تريد ؟

هناك شئ ينكسر داخل حمدان ، هناك شخص يدفعه للقيام ، فقام ويدأ يسير فى الغرفة ذهابا وإيابا بعصبية ، ثم توقف أمام وليد بجسده الضخم ورفع أصبعه فى الهواء ، يهزه فى وجه وليد ، مع تيار من الكلمات يتدفق من فمه دون أن يستطيع السيطرة عليه ، موقف كذلك الذى وقفه على الكوبرى فى ميدان التحرير يوم زار السادات القدس ، تنتابه نوبات وعى قصيرة ، فيعرف ما يفعله ، دون أن يستطيع التحكم فيه ..

– أتعجب مما آل اليه حالى ، وتدهورت اليه أحوالى .. طغى الكره داخلى على كل حب ، وخرجت لأتفرج على الجهل تنبت له أنياب أطول من أنياب الفيل وقرون أقوى من قرون الوعل .. يريدون منى أن أبارك تلك الأنياب وأملس عليها وأقبل تلك القرون وأدعو لها أن تدوم .. لكننى قررت أن أشعل النار بدل اضاءة النور .. وقضيت أياما وليال أنظر هذا التحول الذى يطرأ على نفسى .. يدهشنى ويفزعنى .. استعيد سيرة حياتى لأرى من أين ينبت كل هذا الشر ، أفطرت على الشر دون أن أدرى أم أنى تعلمته من سلوك الآخرين تجاهى .. وليد – لماذا تخاف فتح المندل ؟

قال وليد بهدوء وهو ينظر إلى الجبل المطل عليه :

– حمدان ..متى كانت آخر مرة مارست فها الجنس مع امرأة ؟

قال بعصبية : لا تتجاهل سؤالى بالدوران حول الموضوع ..

– أنا أتكلم جادا ..

– إنك تخاف .. وكلهم يخافون ..

قال وليد مجاريا ، وقد بدأ يشك فعلا بسلامة قوى حمدان العقلية :
– من تقصد بكلهم ..

قال : الامة كلها .. من المحيط إلى الخليج .. الرعية والسلطة ..
ضحك وليد ، واستثار ضحكه حمدان ..

فقال : ينقصك شئ مهم .. فأنت مثلهم .. لا تريد أن تفتح قلبك لى وتسرد على كل شئ .. حتى أفهم .. أنا لا أفهم .. فى رأسى فراغ كبير .. هل سمعت بالرأى الذى يقول إن الخطاط العربى يمد بعض الحروف لتغطية الفراغ بين الأسطر .. إلى درجة جعلت بعض الخبراء يعتقدون أن لدينا خوفا من الفراغ ..فى عقلنا فراغ .. لا بد أن تملأه بالفهم .. كنت ألوم الاجيال السابقة لعجزها عن فعل شئ وهى ترى الاحوال تتدهور أمام عيونها .. والآن أعذرهم .. لأنى مثلهم .. أرى كل شئ ينهار ولا أعرف ماذا أفعل لأوقف هذا الانهيار .. إنهم يؤمنون بأن الرب قال لهم ، ولأن الفلسطينين تعاملوا بالانتقام ، وثاروا بقلوب قاسية مدمرة من أجل العداوة الأبدية ، *لذلك أصب* غضبى عليهم ، وأجرى عليهم نقمة عظيمة ، فيعلمون أنى أنا الرب ، اذ أجعل عليهم نقمتى" .. أريد أن أكون هذا الفلسطينى صاحب العدواة الأبدية .. أثأر بقلب قاس مدمر ..لكنى لا أستطيع .. عاجز دائما حتى فى مواجهة أبسط الأمور .

فهم وليد بشكل غائم ما يدور فى ذهن حمدان ، وما يعذبه ، قام من مكانه ، والآخر ينظر اليه بوجه خال من التعبير سوى نظرة البلاهة التى تطل من عينيه ، أحضر زجاجة ويسكى وكأسا ، صب له حتى امتلأ الكأس :

قال – اشرب هذا يا حمدان ..

– وتجعلنى أفهم ..

– وأجعلك تفهم ..

شرب حمدان الكأس دفعة واحدة ، فصب له آخر ، ثم صب لنفسه كأسا صغيرة ، تمدد حمدان على المرتبة ، لكنه لم ينم . بل قال: أفهمنى .

قال وليد بهمس : ماذا تريد أن تفهم ؟ الجميع ضدنا .. الجميع ضدنا .. الجميع يا حمدان.ولم يبق أمامنا سوى ما يحدث الآن . المفاوضات لنحصل على ما يمكن أن يعطونا إياه .. لنأخذه وننتظر ..

تمتم حمدان : لماذا لا نمنعهم ؟

– لن نستطيع .. وأنا شخصيا لا أريد .. فليحصلوا على ما يحصلون عليه .. فذلك أفضل فى الظروف الراهنة ..

– وتسمى هذا سلاما ...

– ليكن اسمه ما كون .. لكنه أقصى ما تستطيعه الآن .

سقطت رأس حمدان على المخدة .. ، وانتظم تنفسه ..

غطاه وليد ببطانية ، وذهب لينام فى مكان آخر .

***

(٣٤)

استيقظ حمدان عند الظهر ، وكان وليد قدسبقه فى الاستيقاظ . بدأ حمدان يبسمل ويحوقل ، دخل دوره المياة ، فتوضأ ، صلى الظهر ، ثم القى التحية على وليد بعد ذلك .

تناولا فطورهما .

وقال وليد : بعد ساعات سيأتى محمود ليقلك من هنا .. ماذا تريد أن تفعل بنفسك ؟ ما الذى تريده منى الآن ؟ فكر بعقل .. الشرطة تبحث عنك .. ولا يمكن أن تظل مختفيا إلى الأبد .

– تقصد أنى لا بد أن أغادر البلاد .

– ذلك هو الشئ الوحيد الذى يجب أن تفعله الآن .

– وليد .. أتعرف عنوان شقتى فى باب الشعرية ؟

– أعرفه .

– أريد أن تعتنى أنت أو أحد صحبك .. بسعاد وابنها فى الشقة المقابلة لشقتى .

– وما سر هذا الاهتمام ؟

– كنت سأتزوج هذه الفتاة قبل اعتقالى .. وأعتقد أن الولد الذى أنجبته هو ابنى ..لم تصرح بذلك .. لكنها لمحت .. كما أن حاستى لا تخطئ سأترك لك النقود لتوصلها اليها .. ايمكنك ذلك ..

لم يرد وليد أن يجادله .ومع ذلك قال :

- اترك لنفسك بعض النقود ..فستحتاج اليها ..

- هم فى حاجة اليها أكثر منى ..

- خطأ .. اوتظن أن الحظ سيظل حليفك ؟

- حظ .. !! أين هو هذا الحظ ؟ .

- يخيل الى أنك نجوت من كل اخطائك .. دون أن تنال جزاءك ..

- نلت جزائى .. يا وليد .. لكن عن أشياء لم أرتكبها ..

- هكذا هى الحياة .. المهم .. أين ستذهب .. ؟

- تهربنى إلى ليبيا .. ومنها أتسلل إلى تونس .. التحق بالمنظمة وأواصل الكفاح ..

ضحك وليد سخرية :أى كفاح ؟ .. ألا تدرك أننا هزمنا .. انتهت الحرب .. والآن زمن المفاوضات .. ساير الأمور لتعيش ..

- هل تؤمن أنت بذلك .. ؟

قال وليد بنفاذ صبر : لماذا تعود إلى الموضوع ثانية .. فى الحياة يا حمدان لا بد للمرء من الرضى بالحل الوسط .. وليس لى اعتراض على ذلك كما قلت لك .. المطلق الذى تريده لا تجده إلا فى مستشفى المجانين .. هناك مكان للفهم الصحيح مقابل عالم لا يفهم ..

ندم وليد بمجرد نطقه بهذه الكلمات ، فكأنه يقول لحمدان عد إلى مستشفى المجانين ، وهو لم يقصد ذلك ، لكنه ردد حكمة سمعها أو

قرأها .. ويؤمن بها قال : لا تؤاخذنى يا حمدان .. لم أقصد المعنى الحرفى ..

قال حمدان هامسا : أفهم ما تقصد .. من يقودنى إلى العقل يستطيع أيضا أن يقودنى إلى الجنون .. اليس كذلك ؟

- لا أفهم يا حمدان ..

- أنت تفهم .. لكنك تريد أن تبدو كأنك لا تفهم .. لا حب ولا قضية.. خسرت كل شئ ..

ظل وليد صامتا .

فأضاف حمدان : تذكرنى كلماتك بحكمة قالها كاتب أحبه .. ربما هو الذى قال كلماتك .. "أليس من الاكرم والا ليق فى ظروف حضارية معينة ، أن يصاب المرء باضطراب عقلى ، بدل أن يكيف نفسه مع الأوضاع القائمة على حساب مثله كلها " .

همس وليد كالمنوم : أترغب فى العودة إلى المستشفى !؟

قال حمدان منكسا رأسه : ليس تماماً .. لو كنت مسيحيا لدخلت أحد الاديرة ..

قال وليد ووجيب ضربات قلبه يتعالى : وبما أنك لست كذلك ..؟

قال حمدان بهدوء وقد صفا وجهه : قل لمحمودك أن يقلنى إلى مقام السيد البدوى ..أخدمه وأعيش فى ظله .. ولتغمرنى كراماته حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

- سيعرفون الطريق اليك ..

- لن يهمنى .. فلا بد للسقوط أن يصل مداه .

عبثا حاول وليد أن يخرجه عن صمته .

ساعات وهما يجلسان ، كصنمين .

***

ومع الغروب ، وقفت سيارة أمام مسجد السيد أحمد البدوى ، ونزل منها راكبها ، ومضت مخلفة وراءها شبحا ساهما ، حافيا فقد نسى أن يلبس حذاءه ، أو تناسى ، يتحرك ببطء ليتهاوى عند عتبة المقام كومة من حطام .

أحمد عمر شاهين

مارس ١٩٩٥ - مايو ١٩٩٦

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تاريخ الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيري عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
في لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــد	عبده خال
صعيدي صَح	د. عزة عزت

العنوان	المؤلف
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيري
إيتلو	د. علي فهمي خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس أبوليوس ترجمة د. علي فهمي خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د. غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوي
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وطلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني
الحلم	ليلى الشربيني
النغم	ليلى الشربيني
الخرابة 2000	محمد الشرقاوي
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
إلحاح	محمد عبد السلام العمري
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمري
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القليري
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخوري

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رؤيا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
قادماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمري
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبري السيد
تنبـــا تنابينـــا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر. النجوم. العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
حوانيت لغندي	عصام خميس
سيرة الماء	د. علاء عبد الهادي
راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني
إضاءة في خيمة الليل	علي فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي
إذهب قبل أن أبكي	د. لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدي رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
ونّس	محمد الحسيني
ليالي العنقاء	محمد محسن
العجوز المولع ببيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد

مسرح ..

العنوان	المؤلف
هذه الليلة الطويلة	د. أحمد صدقي الدجاني
اللعبة الأبدية - (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبد الحافظ

دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د. أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د. أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د. أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعاني في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشي
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادي
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
البعد الغائب: نظرات في القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
الكتابة للشموع	شوقي عبد الحميد
رحلة الكلمات	د. علي فهمي خشيم
بحثاً عن فرعون العربي	د. علي فهمي خشيم
أعلام من الأدب العالمي	علي عبد الفتاح
هيمنجواي حياته وأعماله الأدبية	د. غبريال وهبة
زمن الرواية، صوت اللحظة الصاخبة	مجدي إبراهيم
في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغني
أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديري
الرواية العربية، رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال.
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة في الإصـــدارات لا تعبــــر بالضـــرورة عن آراء يتـــبناهـا المركـــز

حمدان طليقاً

الرواية العاشرة للكاتب الفلسطيني أحمد عمر شاهين ، يواصل فيها تتبع شخصية حمدان المتمردة والعاجزة فى الوقت ذاته .

شخصية تحمل من المتناقضات الكثير ، تحاول أن تفعل ما تريد لا ما يفرضه عليها الآخرون وفق قناعاتها الخاصة وما تراه عدلاً فى عالم يخلو من العدل .

وحين تدرك أن الحياة تفرض عليها إما القبول بحل وسط أو دون الوسط أو الجنون حيث يمكن أن تجد المطلق الذى تريد ، تنهار هذه الشخصية وتنتهى إلى ما انتهت إليه .

حمدان يمثل انهيار أحلام جيل بأكمله ، عاش من أجلها وانهار بانهيارها .

جيل كان يأمل بالكثير فوجد نفسه - حين رفض السير فى الزفة القائمة - جالساً على الرصيف مُهمشاً ، تجرى الأحداث من حوله يتفرج عليها ولا يستطيع أن يساهم فيها حتى ولو بالقليل .

ولم تتركه تلك القوى العادية بل تحاول أن تسلبه كل شئ حتى نفسه . وإذا كان حمدان قد انهار فليست تلك هى النهاية ... فالرواية لا تقدم أمالاً كاذبة أو رؤى مفرحة بل ما يثيره الواقع من زوابع ورمال .

فلابد للسقوط أن يصل إلى مداه قبل أن نبدأ الصعود من جديد .



مركز الحضارة العربية